© Muhammadanism.org — All Rights Reserved
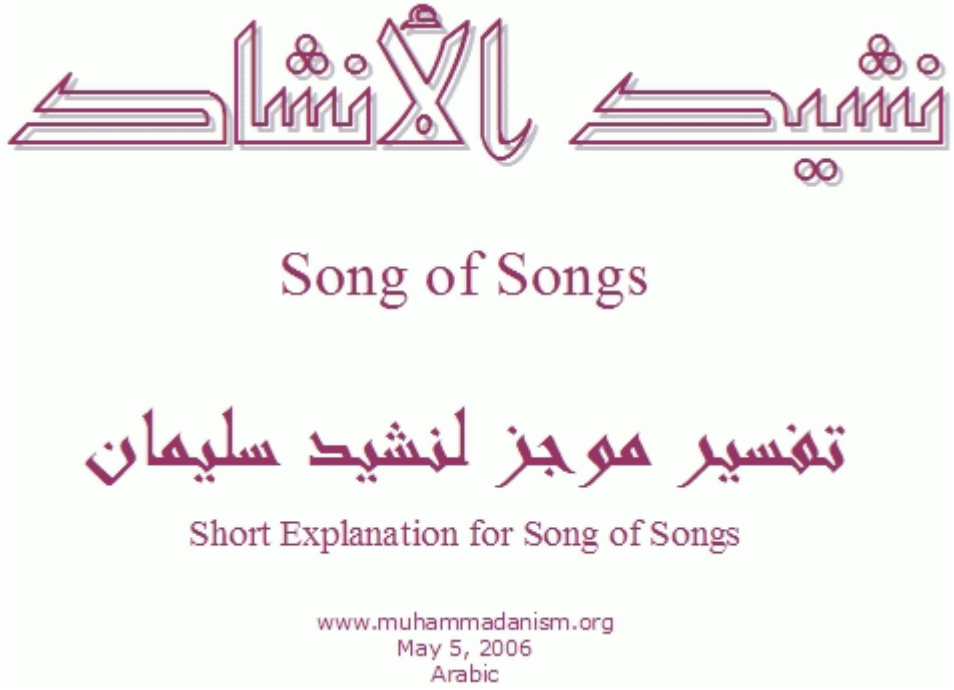
هاملتون سميث
Hamilton Smith

لندن:

London:
The Central Bible Truth Depot,
11, Little Britain, E. C. 1

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أعد وطُبع في إنكلترا
مؤسسة غرين، شارع كراون، لاويستوفت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المحتويات

مدخل	١
النشيد ١	٤
النشيد ٢	١٢
النشيد ٣	٢١
النشيد ٤	٣٩
النشيد ٥	٥١
النشيد ٦	٥٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تنويه

هذا التفسير قد أعيدت طباعته نقلاً عن كتاب "حقيقة الكتاب المقدس" (١٩١٨)، مع بعض التنقيحات والإضافات. النص العربي للكتاب المقدس المستخدم هنا هو ترجمة سميث وفاندايك. وقد أُضيفت عناوين رئيسية للمواضيع المطروحة للتمييز بين مختلف الخطباء المتكلمين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نشيد الأنشاد

مدخل

١. نَشِيدُ الأَنَاشِيدِ الَّذِي لِسُلَيْمَانَ.

المسيح هو محور كل الكتاب المقدس، وفي أقسامه المتعددة، يُسر الروح القدس بإظهار جوانب خاصة من شخص المسيح وأمجاده. وهنا، في نشيد الأناشيد، الهدف الأكبر والأهم هو أن يبين محبة المسيح لشعبه.

لكي يُظهر هذا الحب، استخدم روحُ قدس الله صورةَ علاقة الزفاف على سبيل الاستعارة. فمن خلال سلسلة من الأناشيد، تتكشف لنا محبة عريس راقٍ رفيع المستوى لعروس وضيعة متدنية المستوى، إضافة إلى خبراته المتكررة التي أعادها بها إلى علاقةٍ كاملةٍ معه، وإلى الاستمتاع بمحبته.

العريس هو ملكٌ يُدعى سليمان. والعروس هي راعية غنم تُدعى شُولَمِّيثُ (سليمانة)- وهي الاسم المؤنث من سليمان.

لقد نُظم النشيد على شكل سلسلة من المحاورات بين العريس والعروس. وهناك شخصيات أخرى تظهر خلال النشيد، مثل بنات أورشليم اللواتي تشتركن في الحديث بين الفينة والأخرى، ولدينا أيضاً حُرّاس المدينة، وحَفَظَةُ الأَسْوَارِ، وأخت العروس الصغرى، ولكن هؤلاء الأشخاص يشاركون قليلاً في الحوار، إن شاركوا. في سياق هذه المحاورات نجد أولاً انكشافاً لمحبة هذا العريس اللامحدودة وغير المتغيرة للعروس، ثم نشوء وتطور الحب عند العروس، ونشوء علاقة بينها وبين العريس، هذه العلاقة التي تغمرها بالسعادة من جراء محبته، وترفعها من المستوى المتدني الذي كانت فيه لترتقي إلى مستوى المشاركة في العرش الملكي الذي يتربع عليه حبيبها الرفيع المستوى.

لا ريب أن هذا العريس يرمز إلى المسيح. ولكن البعض يجد صعوبةً في تفسير رمز العروس هنا. وعلى كل حال، يبدو أن هذه العروس ترمز إلى شعب الله الأرضي ألا وهو شعب إسرائيل (وبتحديد أكثر، ترمز إلى القلة التقية البقية من اليهود التي ستمثل شعب إسرائيل) وإلى الخبرات التي سيمر بها هذا الشعب إلى أن يؤسس علاقة راسخة مع المسيا.

لقد كان الأنبياء يستخدمون هذه الصورة الرمزية في العريس والعروس لتبيان هذه العلاقة. فيقول أشعياء النبي: "لأَنَّهُ كَمَا يَتَزَوَّجُ الشَّابُّ عَذْرَاءَ يَتَزَوَّجُكِ بَنُوكِ. وَكَفَرَحِ الْعَرِيسِ بِالْعَرُوسِ يَفْرَحُ بِكِ إِلَهُكِ" (أشعياء ٦٢: ٥). ويقول الرب، بلسان هوشع النبي، معبراً بشكل مؤثر عن رغبته في استعادة شعب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إسرائيل: "هَئَنَذَا أَتَمَلَّقُهَا وَأَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَأُلاَطِفُهَا" (هوشع ٢: ١٤). ومن ثم، وإذ تستيقظ مشاعرها، فإنه يقول: "وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ. وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ. أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ" (هوشع ٢: ١٩، ٢٠). وفي نشيد الأناشيد نجد خبرات البرية هذه، والتي يخاطب الله بها قلبَ شعبه على نحو رمزي.

بينما كان الأنبياء يهتمون بخبرة الضمير التي ستجعل البقية التقية من اليهود يندمون على رفضهم وصلبهم للمسيا، نلاحظ أن هذا السفر– نشيد الأناشيد– يقدم لنا خبرةَ القلب، واستيقاظ مشاعرهم لقاء محبة المسيح الخالصة– هذه المحبة التي كانوا قد رفضوها بازدراء.

يتطلبُ فهمُ هذا التفسير بعضَ المعرفة بتاريخ وواقع شعب إسرائيل في نبوءات العهد القديم والجديد. فبسبب عدم إيمانهم تعرضوا للظلم والاضطهاد، وعانوا ضيقة لم يعرفوا لها مثيلاً مُذْ صاروا شعباً لله. وكما يقول سفر الرؤيا فإنهم سيخضعون للوحش الذي سيحاربهم (رؤيا ١٣: ٤). ولأنهم رفضوا المسيح فسوف يقبلون حكم "المضاد للمسيح" الذي لم يُجلّ إله آبائه ولم يعرفه. وبـ "أسى بغيض" في المقدس، سيقعون في العبادات الوثنية الفادحة، وتكون حالتهم الأخيرة أسوأ من حالتهم الأولى بكثير.

ولكن ضمن هذا الشعب المرتد العاصي تبقى قلةٌ تقيةٌ يعمل الروح القدس معها. وهؤلاء سيبتلون بالأحزان، وينبذهم العالم لاعترافهم باسم المسيح، وسيموت الكثيرون منهم لأجل ذلك. ويُضايَق البعضُ منهم وتتحجر قلوبُ آخرين. ولكن الله سيعمل لأجلهم، وسيُنقصُ فترة الضيقة العظيمة التي سيمرون بها.

هذه البقية التقية، نجدها رمزياً في شخص العروس، في نشيد الأناشيد، ونجد أن الله يخاطب قلوبهم وسط الأحزان ويوقظ مشاعر المحبة عندهم.

هذا التفسير لنشيد الأناشيد ينطبق على الكنيسة– العروس السماوية– وأيضاً على المؤمن الفرد. ففي تعامل الله مع شعبه المؤمن هناك عدة مبادئ. وفي الحديث عن الأناشيد في هذا السفر يقول أحدهم: "لقد أحب المسيح كنيسته وشعبه وكل نفسٍ اجتذبها إليه، ولذلك فإنه ينبغي أن ننكب عليه أخلاقياً فهذا أمر جليل للغاية" (ج. ن. دي). وهذا الانكباب التطبيقي العملي الأخلاقي هو ما نتناوله في تفسيرنا التالي.

يمكن تقسيم هذا السفر إلى ستة أناشيد، ويمكن تلخيص موضوع كل منها كما يلي:

- النشيد ١: (١: ٢– ٢: ٧): يقين المحبة.
- النشيد ٢: (٢: ٨– ٣: ٥): ايقاظ المحبة.
- النشيد ٣: (٣: ٦– ٥: ١): شركة المحبة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

- النشيد ٤: (٥: ٢- ٦: ١٢): إستعادة المحبة.
- النشيد ٥: (٦: ١٣- ٨: ٤): شهادة المحبة.
- النشيد ٦: انتصار المحبة.

ولذلك، كما سنرى، إن **المحبة** هي الموضوع الأهم في نشيد الأناشيد- ألا وهي محبة المسيح. فعن طريق الصورة المجازية للعريس والعروس، يتحدث السفر عن كل تلك المشاعر الحانية الجميلة التي يُضرمها المسيح في قلوب خاصته. فما أعظمه فيض المحبة نحو المسيح! غالباً ما نشتكي من ضآلة المحبة بين المؤمنين بالرب، ولكن هذا يدلنا، وللأسف، على ضآلة المحبة تجاه الرب نفسه. وإن كان الحال هكـــذا، أفلـــيس السبب هو فقر إدراكنا وتقديرنا لمحبة الرب لنا؟ ومن هنا تأتي الأهمية الكبرى لسفر نشيد الأناشيد. فهو يوقظ أو يثير محبتنا بكشفه لمحبته اللامتناهية لنا. هناك أناشيد كثيرة في الكتاب المقدس تمجد روعة الخليقة، وتحتفل بالغلبة والنصر، وترفع مديحاً وشكراناً لله، أما هذا السفر فيتغنى بالمحبة- محبة المسيح- ومن هنـــا جاءت تسميته بـــ "نشيد الأناشيد".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النشيد ١
(١: ٢- ٢: ٧)
يقين المحبة

العروس
(٢- ٧)

"٢لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ"

يُستهل نشيد الأناشيد بصوت العروس. وتعبر كلماتها الأولى التي تنطق بها هنا عن توق قلبها المتقد ليتعهدها العريس بالحب. وهذه الكلمات لا تشابه حديث غريب إلى العريس، ولا تعبر عن حب معتدل. إنها كلمات صادرةٌ عن امرأة منجذبةٍ إلى العريس بشدة، وتتوق إلى أن تتأكد من حبه الشخصي لها، إذ لم تتيقن منه بعد.

وفي ختام النشيد الأول تصل إلى منية قلبها، إذ تقول، وببالغ السرور: "شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي". فهي تحقق في النهاية الرغبة التي عبرت عنها في البداية. ولسوف تتعلم دروساً أخرى خلال سياق النشيد، ولكنها وصلت إلى اليقين والسرور بحب العريس. وبالتالي فإن هذا الموضوع هو محور النشيد الأول- ألا وهو الطريق الذي يسلكه الحب ليطمئن قلب العروس إلى محبة العريس لها.

إن نقص اليقين بمحبة المسيح هو في الواقع بعيد عن الخبرة المسيحية، مع أنه في بداية تاريخنا مع الله لا تكون نفوسنا دائماً راسخة في محبة المسيح. وعندما نملك اليقين بمحبته، لا نُسر دائماً بذلك؛ ومن هنا نجد أن لهجة العروس تعبر عن توق الكثيرين من أولاد الله. ولكن التمتع بمحبة المسيح هو سر كل التكرس الحقيقي. وإذا تتبعنا حياة الرسول بولس المكرسة للرب، والاضطهادات التي عاناها، والمحن التي تعرض لها، والمشقات والشدائد التي تحملها، فإننا نتساءل: ما السر الخفي في كل هذه الحياة العجيبة المدهشة؟ ونسمعه يجيبنا قائلاً: "مَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غلاطية ٢: ٢٠ ب). كان هذا المنبع الخفي لحياته، قلباً ينبض باليقين والسرور من محبة المسيح الشخصية. كم هو أمرٌ هام أن تكون نفوسنا على الدوام على يقين كامل من محبة المسيح. هناك أشكال أخرى عديدة للحب في الحياة، ولكن محبته وحدها القادرة على أن تشبع القلب- "لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ". ولإشباع القلب ينبغي معرفة محبته عن وعي وإدراك، ومن هنا تأتي أهمية القبلة- "لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ". بيد أن الحب يجب أن يُرى على أنه حب فرداني وشخصي أيضاً، "لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ".

"٢ لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ.
اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ لِذَلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى".

.بمخاطبتها للعريس، تكشف لنا العروس سر رغبتها في التيقن من حبه لها. لقد عرفت غنى محبته وسمو اسمه. فكرة حبه تملأ قلبها بسعادة غامرة أشد عمقاً من "الخمرة التي تفرح قلب الإنسان". إن حبه أفضل من الخمر، واسمه كمثل الدهن المهراق. إن اكتشاف النفس لقيمة المسيح اللا متناهية هو الذي يخلق توقاً للتيقن من حبه. إن حبه أروع من كل المسرات الأرضية، التي يمثل الخمر رمزاً لها. وإن اسمه عندما يتكشف هو مثل طيب منثور. في مشهد بيت عنيا (يوحنا ١٢) نجد النتيجة السعيدة للطيب المسكوب. ففي صندوق المرمر كان العطر محتجزاً، ولكن عندما انسكب "امتلأ البيت من رائحة الطيب". كان الأنبياء والكهنة والملوك قد تنبأوا عن مجيء المسيح والأسماء التي سيحملها، ولكن في عهدهم كان عطر اسمه محتبساً في صندوق مرمر. عندما تجسد المسيح وحلّ بيننا ممتلئاً نعمةً وحقاً، في ذلك الوقت انسكب عطر اسمه: وعندئذ بدا اسم يسوع ظاهراً كتعبير أمثل عن الوداعة، واللطف، والصبر، وطول الأناة، والقداسة، والحب. فهذا الاسم كان معطراً بكل نعمة. ولكن لم تنطبع أسماء أخرى في ذهن الناس بسبب القسوة والشرور التي كانت تميز هؤلاء. إن عطر اسم المسيح يملأ الجماعة الصغيرة على الأرض المتجمعة حوله في الشركة. ويملأ قصور السماء بشذاه. وسيكون ممتازاً من الطراز الأول في كل الأرض. فسيملأ السماء الجديدة والأرض الجديدة. ولكن العذارى فقط– الطاهرات القلب– يثمّنون اسمه، ويقدّرون محبته. "لذلك أحبَّتْكَ العذارى". إنهم يحبونه بسبب محبته. "نحبه لأنه أحبنا أولاً".

"٤اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ.
أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِه.
نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ.
نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ.
بِالْحَقِّ يُحِبُّونَكَ".

إن غنى محبته، وسحر اسمه، ليس فقط يخلق توقاً لضمان حبه، بل أيضاً الرغبة في رفقته. تعبّر العروس عن هذه الرغبة، وهي في صحبة العذارى، فتقول: "اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ". إنها ترغب في أن تُحبَّ وتتشوق لأن تجري. وبما أنها منجذبة إليه إلى ذلك الحد، فإن العريس يقودها إلى خبائه– وهي حجال الملك. في هذا الوقت تصبح العروس متعبّدة للملك في مجلسه (١٢)، ومع ذلك فبعد هنيهة ستستقر في سرور بالغ في بيت الخمر عند الملك (٢: ٤)؛ ولكن عليها أولاً أن تتعلم من خباء الملك. ففي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذلك الخباء السري تنسى العروس نفسها، وتبتهج بالعريس، وتتذكر حبه. هناك يلقى الملك الحب بنقاء– إذ يحبونه باستقامة. ومن هنا فإن المسيح يصبح جاذباً لنفوسنا على نحو متزايد. إنه يشدنا إليه. ويأتي بنا إلى حضرته، حتى ننسى، معه بشكل خاص، ذواتنا، ونتمتع به وبمحبته فقط.

"٥أَنَا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ،
كَخِيَامِ قِيدَارَ،
كَشُقَقِ سُلَيْمَانَ".

في حضور العريس، يمكن للعروس أن تبتهج به وبمحبته؛ ولكن، بنتيجة كونها في بلاط الملك، فإنها تحصل على تقدير ذاتي لنفسها، وهكذا تتمتع بمكانتها الحقيقية أمام الآخرين. إذ نكتشف ما نكون عليه مع وجود كل ما هو المسيح عليه، يمكننا أن نستخدم اللغة التي تستخدمها العروس فنقول: "أنا سوداء"– سوداء كخيام قيدار. ولكن إن أدركنا ما نحن في حضوره، وهو الملك، نعلم ما صنعت لنا نعمته. ومن هنا، وإذ نعترف بأننا "سود" يمكننا أن نضيف قائلين: "ولكننا جميلو المُحَيّا" كمثل الستائر الجميلة في هيكل سليمان. هذه دروس على كل شعب الله أن يتعلمها. ففي حضور الرب، وجد أيوب نفسه مضطراً للقول: "ها أنا حقيرٌ". وفي المقدس، قال صاحب المزامير: "صرتُ كبهيم عندك". وفي حضور المجد، يقول أشعياء: "أنا نجسٌ"؛ وبنتيجة كون العروس في حجرات بلاط الملك، كان عليها أن تقر قائلةً: "أنا سوداء". النفس ستبقى قلقة، ويقين ومتعة محبة المسيح ستكون ناقصة، إلى أن نتعلم، في حجرات قصر الملك، هذه الحقائق الثلاث الهامة: (١) عظم المسيح ومحبته، (٢) تفاهتنا الكاملة بالطبيعة، (٣) الفروض التي استوجبتها نعمته علينا.

"٦لاَ تَنْظُرْنَ إِلَيَّ لكَوْنِي سَوْدَاءَ،
لأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ لَوَّحَتْنِي.
بَنُو أُمِّي غَضِبُوا عَلَيَّ.
جَعَلُونِي نَاطُورَةَ الْكُرُومِ.
أَمَّا كَرْمِي فَلَمْ أَنْطُرْهُ".

إذ قد رأينا الملك في جماله والعروس في سوادها، فإننا لا نجد لديها أي رغبة بأن تلفت الانتباه إليها. إن كانت تتحدث عن نفسها، فليس بغاية أن تلفت الانتباه إليها. إذ تقول: "لاَ تَنْظُرْنَ إِلَيَّ لِكَوْنِي سَوْدَاءَ، لأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ لَوَّحَتْنِي". إن اتقاد حرارة تحارب هذا العالم، والاضطهاد على يد أولئك الذين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كانوا مقربين جداً إليها، والعبودية في كروم الآخرين، وإهمال كل حاجاتها وشؤونها، قد ترك أثره عليها. وعلى نفس المنوال، وإذ نكتشف سوادنا على ضوء كمال المسيح، فإننا ندرك أننا لسنا مثالاً يحتذي الآخرون به. وإذ نفكر بإخفاقاتنا تحت وطأة التجارب، نكتشف كم من مرة استسلمنا إزاء معارضة أناسٍ من العالم، وكم من مرة استُعبِدنا في كروم العالم، وكم من مرة أهملنا شؤوننا، أفلا نجد أنفسنا مضطرين للقول: "لا تنظروا إلي"؟ وأيضاً كم تخون كلماتنا وطرقنا زهو قلبنا التي تقول عملياً: "انظروا إليّ"؟ إن محاولاتنا الكثيرة للفت الانتباه إلينا تدل على أننا قلما كنا في بلاط الملك.

"٧أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي،
أَيْنَ تَرْعَى، أَيْنَ تُرْبِضُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ.
لِمَاذَا أَنَا أَكُونُ كَمُقَنَّعَةٍ،
عِنْدَ قُطْعَانِ أَصْحَابِكَ؟"

إن العروس، التي كانت تتحدث إلى بنات أورشليم، تلتفت الآن إلى العريس- الذي تحبه. وقد تخطر في ذهنها تساؤلات حول إمكانية أن يحب الملك فتاة سوداء مثلها، ولكنها لا تشك أبداً في حبها له. هي لا تقول: "أنت يا من يجب على نفسي أن تُحبه" أوحتى "ترغب في أن تحبه"، بل "يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي". وبحبها له ترغب أن ترعى حيث يرعى وتستريح حيث يستريح. بما أنها منجذبة إلى حبه فإنه ليس لديها أي رغبة في أن تتنحى عنه. وهكذا الحال معنا، فمحبة المسيح التي تملأ القلب، وحدها تبقينا على مقربة منه. ومع ذلك، وللأسف، لا يمكننا إلا أن نعترف بأننا كثيراً ما "نتنحى جانباً" سعياً وراء القوت والراحة في الأمور الأرضية. ومع ذلك نتساءل عن سبب بطء التقدم الذي نحرزه، في حين أننا نتمسك بقشور هذا العالم البائس. وسنستغرب إذا ما حققنا أي نمو روحي. إن الفلسفة والعلوم والأدب في هذا العالم سوف لن تجتذب، أو تغذي، نفوس محبي المسيح. إن قلنا صادقين: "يا من تحبه نفسي"، فإننا نرغب جدياً بالقوت السماوي والراحة الأبدية. وإن الرغبة المتقدة بالغذاء السماوي هي الترياق الأفضل ضد الاهتمام بالدنيويات.

العريس
(٨- ١١)

"٨إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ،
فَاخْرُجِي عَلَى آثَارِ الْغَنَمِ،
وَارْعَيْ جِدَاءَكِ عِنْدَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ."

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هنا، ولأول مرة، نسمع صوت العريس. إنه يخاطب العروس بكلمات مثل: "أيتها الجميلة بين النساء". إنها سوداء في نظر نفسها، ومكروهة ومضطهدة من قبل الآخرين، ولكنها في نظره "الجميلة بين النساء". ما من شيء يمكن أن يغير تقدير المسيح لشعبه المؤمن. فلا إخفاقات المؤمنين، ولا افتراء العالم سيغير تقديره لخاصته. إنه لا يراهم أبداً من منظار قيمة عمله الخاص الذي يقوم به لأجلهم، وبحسب مشورة نعمته. فإن كنا نريد أن نعرف أين نجد القوت والراحة لنفوسنا علينا أن نتبع آثار أقدام القطيع. المسيح له قطيعه وله رعاته في هذا العالم. والمسيح، رئيس رعاة القطيع، يقود قطيعه إلى مراعي خضراء خصيبة. إن كنا سنجد من يقوتنا، فلنتبع آثار خطوات القطيع. ولكن هناك تعليمات أخرى للعروس. فلتطعم الخراف عند مساكن الرعاة، بإطعامها لآخرين سوف تتغذى هي نفسها. ما هذا سوى تصور مسبق عن المشهد الخير في إنجيل يوحنا حيث نجد الكلمات المؤثرة التي يوجهها الرب لذاك الناكر للمسيح وقد تجدد أن "اتبعني" و"ارعَ خرافي". فلرعاية الخراف علينا اتباع المسيح، وإن تبعنا المسيح سنُسر ونطعم الخراف. إن سر الحصول على الراحة والقوت لأرواحنا هو في اتباع المسيح ورعاية خرافه.

"٩لَقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ،
فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ.
١٠مَا أَجْمَلَ خَدَّيْكِ بِسُمُوطٍ،
وَعُنُقَكِ بِقَلاَئِدَ!
١١نَصْنَعُ لَكِ سَلاَسِلَ مِنْ ذَهَبٍ،
مَعَ جُمَانٍ مِنْ فِضَّةٍ."

إذ أجاب على أسئلتها، يشعر العريس بالحرية ليعبر عن أفكار قلبه فيما يتعلق بالعروس. كمثل فَرَسٍ فِي مَرْكَبَةِ فِرْعَوْنَ، مزينة بجلّ المَلَكية، هكذا كانت العروس جميلةً لائقةً، في نظره، مع الجمال الذي أسبغه عليها، كما يقول الرب على لسان حزقيال: "حَلَّيْتُكِ بِالْحُلِيِّ، فَوَضَعْتُ أَسْوِرَةً فِي يَدَيْكِ وَطَوْقاً فِي عُنُقِكِ" (حزقيال ١٦: ١١). ألا يسر المسيح بكشف أفكاره ومشاعر المحبة لديه نحو خاصته؟ وأيضاً أن ندخل إلى سر الأشياء التي أعدّها للذين يحبونه- تلك التي لم ترها عين ولا سمعت بها أذن ولا خطرت على قلب بشر؟ فهكذا العريس لا يعبر عن مسرته الحالية بالعروس وحسب، بل يُدخلها إلى سر كل المجد المعد لها. فبقوله "سَنَصْنَعُ لَكِ سَلاَسِلَ مِنْ ذَهَبٍ، مَعَ جُمَانٍ مِنْ فِضَّةٍ"، إنما يشير بلا شك إلى التاج المزمعة أن تعتمره. هناك الجماليات الحالية التي يرى فيها المسيح شعبه- فكما هو نحن أيضاً في العالم الحاضر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كما وهناك المجد المستقبلي الذي سيُعتلن فيه القديسون عندما يحين عرس الحمل. إن القديسين جميلو المنظر في عينيه حتى منذ الآن، ولكن يوم التتويج سيكون في المستقبل.

العروس
(١٢- ١٤)

١٢ مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ،
أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ.
١٣ صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِي لِي.
بَيْنَ ثَدْيَيَّ يَبِيتُ.
١٤ طَاقَةُ فَاغِيَةٍ حَبِيبِي لِي،
فِي كُرُومِ عَيْنِ جَدْيٍ".

إن هواجس العريس المتقدة نحو عروسه تستدعي استجابتها الفورية. فبينما الملك في مجلسه، تتصاعد عبادة قلبها كعطرٍ زكي الرائحة. إن الملك في مجلسه يقدم لنا صورة جميلة عن المسيح وسط خاصته. ليس المسيح المئتزر بمنديل، والمتواضع، الذي يغسل الأرجل الملوثة بالخطيئة؛ وليس المسيح كقائد يقود جمهور الرب في قتال ضد قوى الشر؛ وليس المسيح بدموع الحنو الإلهي يعزي القلب المتوجع، بل المسيح في راحته، وهو يجد فرحاً وسروراً وسط خاصته. ليست بيت عنيا بحزنها، وليست بيت عنيا باحتفالها- في تلك اللحظة السعيدة حين "أولمت له" القلوب المحبة. وليس في هذا العالم الحزين من يمكنه أن يولم له. حين كان في بيت لاوي، أُقيمت وليمة للمسيح كي يبارك الخطأة البائسين، وهو يختلط بهم. وهناك في النهاية أقاموا له وليمةً وهو الذي أولم لكل العالم. هناك جلس الملك إلى مجلسه، وهناك نثرت العروس عطر الناردين. لقد كانت بركة أن تجلس عند قدميه كتلميذ عند قدمي معلمه يستمع إلى كلمته، ولكن ناردين مريم لم ينثر عطراً هناك. لقد كانت بركة أن تجلس عند قدمي الرب يسوع في يوم آلامه وتتعزى بدموعه، ولكن قلب مريم المحطم لم ينثر عطراً آنذاك. ولكن عندما جلس الملك إلى المائدة وسط خاصته- وما عاد يؤازرهم في الطريق، أو يعزيهم في الأحزان، أو يعالج ضعفاتهم، أو يقوّم اعوجاجهم، بل يستريح الآن في محبته في شركة مقدسة وعلاقة مودة حميمة مع خاصته- فعند ذاك فعلاً كانت اللحظة الملائمة لإحضار صندوق المرمر وسكب الطيب الزكي الثمين على قدمي الملك، وهكذا امتلأ البيت برائحة الطيب. إن حضور الملك في مجلسه هو الذي يستدعي العبادة من خاصته. وحده القلب الذي تحرر من الأحزان والانشغالات يمكنه أن يقدم العبادة في حضور الملك.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أن تتعلم عند قدميه أمرٌ حسنٌ. ولكن التعلم ليس عبادة. أن تتعزى بدموع تعاطفه أمرٌ حسنٌ. ولكن العزاء ليس عبادة. في التعلم، أكون مدركاً لجهلي، أما في التعزية، فإني أفكر بحزني. ولكن عندما نصنع مائدةً للمسيح- حين يجلس الملوك إلى المائدة- لا يكون هناك وقت لتعاليم أو تعزية. هناك نطرح عنا الأحزان، والجهل، وهمومنا اليومية، وفي وليمة العشاء معه يستحوذ هو فقط، ووحده، على الفكر ويستأثر بالعواطف. وعندما يمتلئ القلب بالمسيح فإننا نعبده- "فإن نارديننا تفوحُ رائحتُه".

إن العبادة هي فيض القلب الممتلئ بالمسيح. عندما يملأ المسيح القلب يمكننا أن نقول، بلغة العروس: "صُرَّة المرّ حبيبي لي". فالمرّ يرمز إلى المسيح، ولكن ليس إلى المسيح كما نراه، بل المسيح الذي يسكن القلب بالإيمان. إن المرّ لا يجتذبنا بجمال شكله، كما الورود. إنه مادةٌ ثمينة من حيث عطرها الزكي. كما أنه يُلفُّ بصرة؛ إنها غير مرئية ولكننا نستمتع بشذاها. هكذا كان الحبيب بالنسبة للعروس، وهكذا هو المسيح بالنسبة للمؤمن عندما يسكن في قلبه بالإيمان. وتقول العروس أن صرة المرّ ستكون طوال الليل بين ثدييها. خلال كل الوقت من عتمة ليل هذا العالم إلى فجر اليوم الذي لن يكون له انتهاء، سيحفظ المؤمن المسيح في سر عواطفه. وإضافةً إلى ذلك، فإن العروس تشبّهُ العريس بطَاقَة فَاغِيَةٍ فِي كُرُومِ عَيْنِ جَدْيٍ. سوف تُسر بحبيبها في سر عواطفها، ولكنها أيضاً ستفرح بمعاينته. ومن هنا فإننا في حاجة إلى المسيح ليس فقط ليسكن في قلبنا بالإيمان، بل أيضاً كمصدر جذب لأرواحنا، لعلنا بالنظر إليه بوجه منكشف نعاين مجد الرب ونتحول إلى نفس الصورة من مجد إلى مجد.

إننا في حاجة إلى المسيح لينثر عطر النارديني على المائدة؛ نحتاج إلى المسيح كصرة مُرّ طوال ليلنا الحالك الطويل؛ ونحتاج إلى المسيح كطَاقَة فَاغِيَةٍ فِي كُرُومِ عَيْنِ جَدْيٍ- وقد حُفِظَ في مجده الشخصي.

العريس
(١٥)

"١٥أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي.
هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ. عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ."

إن نارديين العروس قد نثر عطرهُ، المعبر عن سرورها بالعريس؛ وها هو الآن يعبّر عن فرحته بالعروس. لقد قالت: "إني سوداء"، ولكن العريس قال: " هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ". إن المسيح الذي يرى شعبَه دائماً وأبداً على ضوء هدفه، وعلى أساس عمله، يمكن أن يقول لكل واحد منا: "ها أنتَ جميلٌ". ومن هنا أمكن للرسول يوحنا أن يكتب قائلاً: "وكما هو كذلك نحنُ في هذا العالم". وإلى ذلك يُضيف الملكُ قائلاً: "عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ". فالحمامة تنوح وتنتحب عندما تُعزلُ عن أليفها. وقال حزقيال في مرضه: "أنوح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كالحمام". ليس أمام الحمامة إلا محبوبها؛ ولأولئك الذين ليس لهم محبوبٌ- سوى المسيح- لهم يمكن أن يقول "عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ".

العروس
(١٦- ٢: ١)

"١٦هَا أَنْتَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِي،
وَحُلْوٌ وَسَرِيرُنَا أَخْضَرُ.
١٧جَوَائِزُ بَيْتِنَا أَرْزٌ،
وَرَوَافِدُنَا سَرْوٌ."

كان العريس قد قال:"أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي"، فردت العروس بابتهاج عظيمٍ قائلةً: "هَا أَنْتَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِي". إن جمالها هو نسخة مطابقة لجماله. هل يسوع جميلٌ؟ كذلك يكون شعبه. جمال الرب علينا، يقول (المزمور ٩٠: ١٧). وإن العروس لا تقول "هَا أَنْتَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِي"، وحسب، بل أيضاً: "وَحُلْوٌ". يمكن القول عن آخرين أن الكثير منهم "جميلٌ"، ولكن ليس "حلواً"، والبعضُ حلوٌ ولكنه ليس جميلاً. أما المسيح فهو ليس جميلٌ يمتع النظر فحسب، بل إنه حلوٌ أيضاً ليشغل الفكرَ. كم كان المسيح "حلواً" في نظر صاحب المزامير عندما أنشد يقول: "إنك أجمل من بني البشر".

فحسناً أن نرنّم قائلين:

"إن أفكارك كلها،
تؤتينا على الدوام،
ببهجة عذبة،
لا تتبدل على مر الأيام".

وفوق ذلك، ليس الملك "جميلٌ" و"حلوٌ" فحسب، بل إن في وجوده راحةً وأماناً وسلاماً أيضاً. "سَرِيرُنَا أَخْضَرُ". يشير السرير إلى الأريكة التي يتّكيء إليها الملك والعروس في مجلس الملك، ويوحي بفكرة الراحة. عندما يتخذ المسيح مكانه وسط خاصته تكون هناك بقعة خضراء في هذا العالم المقفر. وفي حضوره راحة. ولكنه "سريرنا"، فالراحة متبادلة. "أنا معه، وهو معي". ثم أن في حضوره أيضاً أمان وستر وسلام. "جَوَائِزُ بَيْتِنَا أَرْزٌ وَرَوَافِدُنَا سَرْوٌ". إن "الجوائز" تدعم البناء وتجعله آمناً، والروافد تدعم السقف وتجعل منه حمىً وملتجأً مأموناً. ففي حضور الملك نحظى بالأمان والستر. ما نوع البيئة التي نجدها في مشهد بيت عنيا، إذ يتكيء الملك في مجلسه؟ لقد قرأنا قبل ذلك مباشرةً عن تشاور الكبار في الأرض

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ليقتلوا الملك والذي تلاه فوراً الاتفاق مع يهوذا على خيانته لقاء ثلاثين من الفضة. فبينما العاصفة تهب في الخارج، نجد في الداخل أماناً ووقاءً من العاصفة القادمة. قد يغالط المرء مريم فيما فعلت، ولكن سرعان ما نجد عناية الرب الواقية: "«اتْرُكُوهَا. إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ". ما من قوة للمناوئ يمكن أن تمس من يقول الملك عنه "اتركوه وشأنه".

"محبتي في الله تستقر،
ولن يخشى قلبي أي تبدل؛
وثقتي به لا تتحول،
إذ أنها ثابتة على الدوام.
قد تهدر العواصف من حولي،
وقد يضطرب قلبي في داخلي،
إلا أن الله يحيطني،
فكيف لي أن أرتعد؟"

"٢: ١. أَنَا نَرْجِسُ شَارُونَ،
سَوْسَنَةُ الأَوْدِيَةِ.

قد قال الملك: "أَنْتِ جَمِيلَةٌ"، ورداً على قوله لها أن "أنتِ"، أمكنها أن تقول "أنا". "أَنَا نَرْجِسُ شَارُونَ". الإيمان يعبر عما جعلتها النعمةُ في عينيه- عطرةً كزهرة نرجس وجميلةً كسوسنة الأودية. ليس سوسنة في مدينة مكتظة لتثير إعجاب العالم، بل سوسنة لمسرة العريس في وادٍ قصيّ منعزل. ليس من جراءة في اقتبال المكانة التي منحنا إياها المسيح، بالنعمة، أمامه. وليست جراءة أن نقول للمسيح "أنا غير مستحق" عندما يقول لنا "أنت جميلٌ". أمكن للابن المبذر أن يقول ذلك في البلد البعيد، ولكن عندما أصبح بين ذراعي الأب الذي عانقه وقبّله تبدّل الحال برمّته. فلعلنا نتبنى كلمات العروس في مجلس الملك، لا لنُعلّي أنفُسنا بل لنعظمَ النعمة التي منحنا إياها ذاك الذي أضفى جمالَه علينا.

العريس
(٢)

"٢كَالسَّوْسَنَةِ بَيْنَ الشَّوْكِ،
كَذَلِكَ حَبِيبَتِي بَيْنَ الْبَنَاتِ."

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذا هو رد الملك. إنه يؤكد ما قالته العروس. فهي السوسنة؛ ولكن في الوادي حيث تنمو السوسنة هناك أشواك تفيد كخلفية تبين جمال السوسنة. في وادي ظلال هذا العالم هناك من ينعدم لديه جمال المسيح، بل لديه أشواك للحرق، أشواكٌ ستجرحه فحسب. وبالمقابل هناك خاصتُه أيضاً الذين يُسرُّ بهم المسيح- وهم أروع ما في الأرض- أزهار سوسن بين الأشواك. إنهم خاصة المسيح الأنقياء المقدسين، وقد أضفى جماله عليهم. وروعتهم تتبدى واضحةً بسبب محيطهم المريع. لكي يحظى بسوسنته كان على المسيح أن يهبط إلى وادي الأشواك، بلى، لا بد أن يحتمل الأشواك ليكسب عروسه. "لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ" (عبرانيين ١٠: ١٤).

العروس
(٣- ٧)

"٣كَالتُّفَّاحِ بَيْنَ شَجَرِ الْوَعْرِ،
كَذَلِكَ حَبِيبِي بَيْنَ الْبَنِينَ.
تَحْتَ ظِلِّهِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ،
وَثَمَرَتُهُ حُلْوَةٌ لِحَلْقِي."

إن رد العروس فوري. إن كان الملك يرى روعة العروس بين النساء، فإن العروس بالمقابل ترى في حبيبها الشخص الوحيد بين الرجال الذي يمكنها أن تجد معه الراحة والفيء والثمر. ولذلك تُشبّهُهُ بشجرة الوعر بظلالها الوفيرة وثمارها الشهية. إن أشجاراً كثيرة في الغابة تبدو جليلة في عيني البشر، حتى أنهم ينظرون إلى رفقائهم بتقدير أرفع من نظرهم إلى يسوع المتواضع والمرذول. وأشجارٌ أخرى في الغابة قد تؤمن الملجأ، ولكن لا ثمر فيها؛ كما أن البعض أيضاً تعطي ثمراً ولكن لا ظل لها. ولكن هذه الشجرة وحسب تقدم كل ما يلزم. إن المسيح هو شجرة الوعر الحقيقة. المسيح هو شجرةُ الحياة. في نظر الناس، وخلال عبوره في هذا العالم، كان يبدو لهم كأصل بزغ من أرضٍ جدباء، فلا شكل أو جمال له. أما بالنسبة للمؤمنين، فذاك الإنسان المتواضع هو الوحيد بين بني البشر الذي يمكن أن يقدم الملجأ والمأوى والطعام والشراب والراحة في هذا العالم المقفر الشاق المضجر. فإن نظرنا نظرة إيمان شفافة إلى أورشليم الجديدة نرى شجرة الحياة وسط الطريق، على ضفاف نهر الحياة، تنمو في تربتها الأصلية، وهناك نجد حقاً الراحة الأبدية والقوت الخالد. وعلى منوال العروس سنقول: "تَحْتَ ظِلِّهِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَثَمَرَتُهُ حُلْوَةٌ لِحَلْقِي".

"٤أَدْخَلَنِي إِلَى بَيْتِ الْخَمْرِ،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وَعَلَمُهُ فَوْقِي مَحَبَّةٌ".

في حضور العريس وجدت العروس راحةً من التعب، ووقاءً من قيظ النهار، وثمرةً حلوة المذاق. والآن تزداد خبرتها عمقاً، فمع تلبية كل رغباتها تصل إلى التمتع الكامل بكل سخاء الملك. وها قد جيء بها إلى بيت الخمر لتتذوق كامل المتعة معه ونشوة محبته. إذاً لن تحظَ الآن بـ "فيئه" أو بـ "ثمره" بل به شخصياً.

على هذا النحو، في خبرة أنفسنا، نجلس في ظل المسيح، وفي حضوره نجد راحةً من التعب والشقاء، وارتياحاً من أعباء وحرّ النهار، وانتعاشاً وقوتاً لأرواحنا. وهذه البركات العظيمة فيها مقدار كبير من الارتياح، ووراء هذه البركات التي تأتينا بالراحة هناك بركات أخرى تحمل معها خبرات أغنى وأعمق- خبرات لا تدخل فيها فكرة الراحة، بل التمتع اللا متناهي بامتلائه. وهذه الخبرات هي استجابة تتطابق مع بيت الخمرة وعلم المحبة. فالمسيح بإعتاقه لنا من الدنيويات إنما يقودنا إلى السماويات. وسيجعلنا نتذوق كامل الفرح والمسرات دائماً وإلى الأبد، لنجد أن رايته فوقنا إنما محبةٌ هي. إن الراية أو العلم إنما يشير إلى الفاتح والنصر المبين. فمحبة المسيح قد غزت. ويا له من انتصار عظيم قد أحرزه المسيح لشعبه. لم يكن هذا النصر من النوع الذي يحرزه الملوك الترابيون التعساء، أولئك الذين يصلون إلى العرش بخوضهم سيلاً من دماء إخوتهم بني البشر، بل إن هذا الفاتح القدير يحرز انتصاره بإراقته دمَه ذاته- إذ يصبح هو نفسُه الضحية. وإذ أحرز انتصاراً فإنه ينشر رايته، ورايتُه هي المحبة. فالمحبة هي التي جعلته الضحية باختياره؛ المحبة هي التي دفعته للنزول إلى وادي الأشواك؛ المحبة هي التي علّقتْه على الصليب- ليست مسامير من دكان حدّاد بشري هي من علقته على الصليب- إنها تلك المحبة التي ما من مياه تستطيع إطفاء اتقادها. إن محبته الأبدية، الأبدية، التي لا تخمد، وبكامل طاقتها، هي التي أحرزت النصر العظيم، والراية التي تعلن انتصاره قد طُبِعَتْ بمحبته.

"٥أَسْنِدُونِي بِأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ.
أَنْعِشُونِي بِالتُّفَّاحِ،
فَإِنِّي مَرِيضَةٌ حُبّاً."

إن نشوة بيت الخمرة هي أكبر من أن تحتملها العروس. هناك خبرات روحية أكثر عمقاً من أن تحتملها تلك الأواني الترابية الضعيفة. ألم يكن هكذا هو الحال مع الرسول الذي أخذ إلى السماء الثالثة؟ لقد سمع كلمات لا تُوصف ولا يُنطق بها. قد لا يحصل الكثير من المسيحيين على هذا المستوى من الخبرة الروحية، ولكن قد يمنحنا الرب شعوراً غامراً بمحبته يدفعنا لأن نهتف، كمثل أحد القديسين الذين كان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يحتضر، قائلين: "أيا ربُّ، احفظ يدك؛ فإن عبدَكَ إنما هو آنية من فخارٍ ما عاد يستطيع أن يحتمل أكثر". هذه الخبرة عبّر عنها يوماً أحد البيوريتانيين عندما كتب يقول:

"إن المحبة، المحبة التي أتحدث عنها،
تفعل العجب في الروح:
فعندما أكون معافى تجعلني سقيماً،
وعندما أكون عليلاً تشفيني".

"٦شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي،
وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي."

هذا هو الجواب على نداء العروس طالبة قوة تعينها على الاحتمال. فعلم المحبة فوقها، وذراع المحبة تطوقها. لقد نالت منية قلبها التي عبرت عنها في مطلع النشيد. لقد أيقنت من محبة العريس وتمتعت بها. يا لسعادة القديس الذي يجد في محبة المسيح إشباعاً لتوق الطبيعة المتجددة فيه.

"٧أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ،
بِالظِّبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الْحُقُولِ،
أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ!"

يُختتم النشيد بمناشدة من العروس تطلب فيها من بنات أورشليم ألا يقلقوا راحة حبيبها. فإن أدنى حركة ستزعج الظباء وأيائل الحقول التي تمتاز بالحساسية وانخلاع الفؤاد. وإذ راية المحبة فوقها، وذراع الحب تطوقها، تخشى العروس من أي تطفل قد يُفسد سعادة الحب التي تحظى بها. ألا يجدر بالقديس، بينما هو يستمتع بمحبة المسيح، أن يخشى أي تطفل قد يقطع أو يُفسد رابطة المحبة التي تربط بينه وبين مخلّصه؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النشيد ٢
(٢: ٨ - ٣: ٥)
ايقاظ المحبة

العروس
(٨، ٩)

"٨صَوْتُ حَبِيبِي. هُوَذَا آت،
طَافِراً عَلَى الْجِبَالِ قَافِزاً عَلَى التِّلاَلِ".

يصور لنا النشيد الأول مشهداً في النهار حيث الملك في مجلسه. أما النشيد الثاني فيرينا انقضاء متعة المحبة في حضور الملك، ويبدأ هذا النشيد بمشهد العروس وهي ترقد في منـــزلها في السهول بنوافذه المشبّكة. في غياب العريس عادت إلى منـــزلها في موطنها. وهي في ذلك على مثال بطرس، الذي قال في وقت لاحق، في غياب المسيح: "لأمضينّ إلى الصيد". لقد عاد إلى الظروف التي كان يعيش فيها قبل اتباعه للمسيح. لقد تبعه آخرون، ولكنهم "لم يصطادوا شيئاً في تلك الليلة". لقد استيقظت العروس على صوت حبيبها الذي يقول لها بأنه آتٍ. ومن ثم تراه عن بعد قادماً فوق الجبال: وما هي إلا هنيهة حتى وقف خلف جدار منـــزلها، ومن ثم أظهر ذاته لها عبر الكُوى.

في تاريخ حياة شعب الله، كم من مرة حصلوا على فرح عظيم وبركة بعد خدر أو سبات روحي. إن مجلس الملك يفسح مجالاً لمنـــزل العروس ذي الكوى. المشاركة مع الملك في مجلسه تليها أشواق العروس المتأججة في منـــزلها.

كم كان سريعاً ذبول نضارة الكنيسة الأولى. عندما "كَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ"؛ عندما كان المؤمنون يؤيَّدون "بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ" و"نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ"، وكانوا يواظبون على الحياة اليومية "بنفس واحدة"، و"يكسرون الخبز في البيوت" و"يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ"، أفلا نستطيع القول أنهم كانوا في حجرة الطعام، مع الملك في مجلسه؟ ولكن عندما تذوي هذه النضارة المبكرة، وعندما يسعى كل واحد إلى شؤونه الخاصة، وليس في أمور يسوع المسيح، أفلا ينبغي أن نقر بأن الليل الروحي قد حلّ على القديسين، وأنهم قد فقدوا الإحساس بدعوتهم العظيمة، واستقروا في منازلهم في سهول العالم؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن ما هو حقيقي بالنسبة للكنيسة ككل ينطبق أيضاً، وللأسف، على الأفراد. فبعد النضارة المبكرة للحب الأول غالباً ما يحدث أن يستسلم حديثو الإيمان إلى تدنٍ في المستوى الروحي، والذي يعود مرده إلى نقص المحبة القوية نحو المسيح لديهم، رغم استمرارهم في روتين الخدمة.

هكذا شروط يأتي هذا النشيد الثاني على وصفها. وإضافة إلى ذلك، فإننا نرى الطريق التي يسلكها الحب ليحقق هذه الشروط، وكيف يوقظ الملك من جديد مشاعر قلب العروس. وفي هذا نجد تعليمات لأرواحنا، يجدر بنا أن نأخذها بعين الاعتبار.

إن عواطف العروس أوقظت أولاً بصوت العريس. وإذ هي متثاقلة الأجفان من النعاس، فإنها سرعان ما تدرك صوت حبيبها. وهكذا الحال مع خراف الرب: فهي قد تسرح مبتعدة عنه، ولكنها لا تبرح مخلصة له "فتعرف صوته" (يو ١٠: ٤). ربما عاد بطرس، وأولئك الذين تبعوه، إلى حياة صيادي السمك البائسة، ولكن عندما يأتي إليهم الرب فإنهم أدركوا في الحال "أنه الرب".

الصوت يعلن أنه قادمٌ. هل من شيء يمكن أن يوقظ المشاعر كمثل سماع خبر مجيئه؟ ما الذي يثير مشاعر الزوجة أكثر من معرفتها أخيراً بأن زوجها قادم من وراء البحار؟ ما الذي يمكن أن يوقظ مشاعر البقية التقية من شعب إسرائيل في ذلك اليوم العتيد، كمثل الصوت الذي يقول: "هوذا الملك آتٍ"؟ "اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ" (زكريا ٩: ٩). هكذا أيضاً تستيقظ مشاعر كنيسة المسيح التي تنتظره بفضل حقيقة أنه آتٍ. إن كل المكاشفات العظيمة في سفر الرؤيا، التي ينطق بها الملائكة والشيوخ، عن الأحداث الجليلة والأمجاد الآتية والبركات الأبدية، تمر دون أن نسمعها عندما لا نعير الأمر انتباهاً. ولكن عندما يصمتُ كل صوت آخر، ونسمع يسوع نفسه يقول: "«نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعاً»" فعندها، وفي نهاية الأمر، ستستيقظ مشاعر الكنيسة، ويتردد صوت الهتاف أن "آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ".

"٨ طَافِراً عَلَى الْجِبَالِ،
قَافِزاً عَلَى التِّلاَلِ.
٩حَبِيبِي هُوَ شَبِيهٌ بِالظَّبْيِ، أَوْ بِغُفْرِ الأَيَائِلِ".

بنشاط الظَّبْيِ أَوْ غُفْرِ الأَيَائِلِ، قافزاً من صخرة إلى صخرة فوق الجبال والتلال، هكذا هي رغبة الملك في المجيء لدعوة حبيبته تتحدى كل العوائق. إن العروس قد تنام، ولكن ليس الملك هكذا. قد ينام إسرائيلُ ولكن "ذاك الذي يرعى إسرائيل لا ينعسُ ولا ينام". لقد خاطب الرب يسوع كنيسته أربع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مرات بالقول : "ها أنذا آتي سريعاً". أفلا تُظهر هذه الكلمة "سريعاً" رغبة متقدة لديه لذلك اليوم العظيم عندما يكون "عُرْس الْحَمَلِ قَدْ جَاءَ"؟

"٩ هُوَذَا وَاقِفٌ وَرَاءَ حَائِطِنَا،
يَتَطَلَّعُ مِنَ الْكُوى،
يُوَصْوِصُ مِنَ الشَّبَابِيكِ".

لا يُوقظُ الملك عواطف العروس وحسب بصوته، بل يقف بصبرٍ إزاء جدار البيت منتظراً؛ ومن ثم، وبإظهار نفسه عبر الكوى يجتذبها بجمال شخصه. ألم يفعل المسيح ذلك عندما التقى بالتلميذين الخائبين على طريق عمواس؟ لقد جعل قلبهما يتقد أولاً في داخلهما بينما راح يتحدث إليهما في الطريق. ثم وقف عند عتبة بيتهما كمسافر يودعهما، وأخيراً كشف نفسه لهما- وبمثل لمح البصر، كمن ينظر نظرة عجلى من الكوى، غاب عن ناظريهما. وعلى نفس المنوال يتعامل مع شعبه الحبيب اليوم. إنه يحث مشاعرنا الواهنة المبتئسة بأن يُسمعنا صوت محبته الخافت في أعماق ذواتنا، وبصبر وأناة كبيرين يقف على باب اللاوي، منتظراً أن يُظهر ذاته لنا ويجتذب قلوبنا بجماله وروعته.

العريس
(١٠-١٥)

"١٠ أَجَابَ حَبِيبِي وَقَالَ لِي:
قُومِي يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَي".

حتى الآن ما أمكن للعروس إلا أن تسمع صوته، والآن تسمع كلمات فمه، وتردد بسرور ما يقوله حبيبها. سوف لن يبقى الملك من بعد دون عروسه؛ فسيأخذها من الوديان المظلمة الباردة إلى أماكن أكثر دفئاً وضياءً. إن أول كلمة يقولها ستوقظها من الظروف التي تعيش وسطها: "قومي". والكلمات التالية تبين أهميتها العظيمة في نظره: "يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي". وأخيراً تسمع نداءه الواضح المحدد أن "تَعَالَي"- وبهذا يكشف توق قلبه لها.

ألا يخاطب الرب شعبَه هكذا اليوم؟ ألا نسمع صوته يقول لنا "قوموا"، إذ ينبغي أن يقيمنا من حالة النعاس والتثاقل الروحي التي تتملكنا وتشدنا إلى الأرض؟ ألا يقول لنا: "قوموا وانطلقوا: فهذه ليست راحة لكم"؟ ومن جديد يذكّرنا الرسول بـــ " أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفوق ذلك، ألا يذكّرنا الرب كم نحن عزيزون في نظره عندما يخبرنا كيف أنه أحب الكنيسة وبذل نفسه لأجلها ليُطهّرها ويقدّسها بغسل الماء بالكلمة، ليقدّمها لنفسه كنيسةً مجيدةً؟ أولا تحرك هذه الكلمات أعماق قلبنا عندما نسمعه ينادي عروسه قائلاً: "يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي" رغم كل كل برودتنا، واعوجاج طرقنا، وانهيارنا؟

ثم ألا نسمعه يناشدنا أن نبتعد عن هذا العالم البائس، بقوله: "لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ"؟وبعدها ألا نسمع أيضاً صوته قائلاً: "تعالوا"، داعياً إيانا للقائه في الهواء؟

"١١لأَنَّ الشِّتَاءَ قَدْ مَضَى،
وَالْمَطَرَ مَرَّ وَزَالَ.
١٢الزُّهُورُ ظَهَرَتْ فِي الأَرْضِ.
بَلَغَ أَوَانُ الْقَضْبِ،
وَصَوْتُ الْيَمَامَةِ سُمِعَ فِي أَرْضِنَا.
١٣التِّينَةُ أَخْرَجَتْ فِجَّهَا،
وَقُعَالُ الْكُرُومِ تُفِيحُ رَائِحَتَهَا.
قُومِي يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَيْ."

إن الملك لا ينادي العروس من منـــزلها في السهول وحسب، بل أيضاً يكشف لها عن عالمٍ من البركة، حيث لا عواصف أو رياح شتوية تهب عليه، بل كل ما فيه جميلٌ للنظر وعذبٌ للسمع وممتع للمذاق- أرض من الأزهار والأناشيد، أرض ذات ثمار تين خضراء وخمرة جديدة. ولا ينقص ذلك المشهد سوى حضور العروس، ولذلك فإن الملك يخلص إلى القول: "قُومِي يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَيْ".

عندما جمع الرب تلاميذه الحزانى حوله تلك الليلة الأخيرة الحزينة قبل أن يغادر العالم، عزّى قلوبهم المضطربة بإفضائه لهم عن عالم آخر، منـــزلٍ كان ماضياً ليعدّه لهم، فيما وراء ليل هذا العالم البارد. إن العاصفة التي كانت فوق رؤوسنا كانت على وشك أن تنفجر فوق رأسه، وفي مقدوره أن يرى ما هو أبعد من العتمة والدينونة ويفتح أمام ناظرنا مسكناً جديداً حيث يصبح الإيمان معاينةً- وستبزغ الورود، حيث لن يكون هناك بكاء ونحيب من بعد، وسيأتي أوان التغني، وسيُسمَعُ صوتُ الحمام، إذ سينضم المؤمنون إلى جوقة غناء أغنية المجد الجديدة للحمل. وهناك سنتغذى على الثمار الجديدة في السماء ونحتسي الخمر الجديد. وتكتمل البركة في ذلك المشهد بحضور العروس، عروس الحمل. قد يطول انتظار المسيح، ولكنه ما برح يقول: "سآتي ثانيةً وآخذكم إليّ"، وسرعان ما سينقضي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشتاء، ويولّي زمن الانتظار، فيأتي ليأخذ عروسه، وسنسمع صوته قائلاً: "قُومِي يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَيْ". فحسنٌ أن ننشد هنا قائلين:

"وراء العواصف أمضي،
خلفَ وادي البكاء،
خلفَ الطوفان،
ما وراء السنين المتحولة،
إلى أرض أفضلَ أمضي،
بالإيمان الذي ما فتئتُ أمتلكُ،
ويشرق المجدُ أمامي،
إذ ليست ها هنا راحتي".

"١٤يَا حَمَامَتِي فِي مَحَاجِئِ الصَّخْرِ،
فِي سِتْرِ الْمَعَاقِلِ."

كان الملك قد أخبر العروس عن أرض الشمس والغناء، حيث يكون الشتاء قد ولّى والمطر قد زالَ وانقضى؛ ولكن في هذه الأثناء لا تزال هي في أرض المطر والشتاء. إلا أن هذا الذي جاء لأجلها هو الذي يحميها. إنه يشبّه عروسه بيمامةٍ تختبيء في محاجل الصخر، وتجد ملجأ لها من العاصفة في ستر المعاقل. هكذا الحال في وقتنا الراهن، في انتظار الرب، حيث يلقى شعبه معارضةً من المناوئين، ويواجهون العواصف. إلا أن النعمة قد أمّنت لهم ملاجئ ومساتر من العواصف. ونقرأ: "وَيَكُونُ إِنْسَانٌ كَمَخْبَأٍ مِنَ الرِّيحِ وَسِتَارَةٍ مِنَ السَّيْلِ كَسَوَاقِي مَاءٍ فِي مَكَانٍ يَابِسٍ كَظِلِّ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَرْضٍ مُعْيِيَةٍ." (أشعياء ٣٢: ٢). في شق تلك الصخرة- وفي يسوع المسيح الإنسان المطعون في جنبه- كم سيجد شعب الرب البائس المؤمن به ملجأ من الرياح العاتية، أولئك الذين يمكن تشبيههم بحمامةٍ مخلوعة الفؤاد. فلننشد هاتفين:

يا حمل الله،
احفظنا إلى جنبك المطعون،
ففيه فقط نجد أماناً،
ونقيم في سلام".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٤١ "أَرِينِي وَجْهَكِ. أَسْمِعِينِي صَوْتَكِ،
لأَنَّ صَوْتَكِ لَطِيفٌ وَوَجْهَكِ جَمِيلٌ".

من خلال كوى نوافذ منـــزلها، أظهر الملك نفسه للعروس، وتحدث إليها، إلا أن هذا لا يشـــبع رغبات قلبه. وسيرى وجهها بسرور ويسمع صوتها. فصوتها عذبٌ على مسمعه، ووجهها جميل المحيّا في ناظريه. ألا يُسَرُّ الرب بأن يعلن أمجاده لشعبه ويتحدث إليهم؟ إنه يتشوق إلى يوم يلاقي فيه شعبَه وهـــم بكل المجد- دونما شائبة أو لطخة أو شيء من ذلك- بل كاملين بكل الجمال الذي أضفاه عليهم. ويتطلع لأن يسمعهم يقولون بصوت متفق: "«لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ»".

"١٥ خُذُوا لَنَا الثَّعَالِبَ،
الثَّعَالِبَ الصِّغَارَ الْمُفْسِدَةَ الْكُرُومِ،
لأَنَّ كُرُومَنَا قَدْ أَقْعَلَتْ."

لقد عبّر الملك عن توقه لرؤية عروسه، ولسماع صوتها؛ وكما الثعالب، وخاصة بصغارها، التي تفسد الكروم إذ تطأ الأزهار، فغالباً ما يكون هناك أناسٌ ذوي نـــزعات شريرة وطبيعة ماكرة يعملـــون على إقامة عوائق تمنع العروس من الاستجابة بنضارةٍ لقلب الملك.

إن المسيح يتوق لرفقة شعبه، إن رغبة قلبه هي أن يتعشى معهم وهم معه. وهناك "حاجة إلى أمر واحدٍ"، وهو أن نجلس عند قدميه ونحظى بالشركة معه. إن في مقدوره أن يستعيض عن خدمتنا الغنية له، ولكنه لا يتخلى عن رفقتنا له. مريم، دون مرتا، أبدت هذا الموقف. لوهلة جعل الثعلب مرتا غير مثمرةً. وفي أحيانٍ كثيرة نشابه مرتا في ذلك. فثمة ثعلب، وقد يكون ثعلباً صغيراً، يُسمح له بدون انتباهٍ أن يعمل سراً في قلوبنا. فالكبرياء، واشتهاء ماللغير، والشهوات، والقسوة، والأفكار الشريرة، والنميمة، والسخط، والنـــزق، والاستخفاف، قد نسمح لها بأن تعشعش في داخلنا دون أن ندينها، وهذه تعيـــق الشـــركة، وتجعل الحياة عقيمة. علينا أن ننتبه كثيراً جداً إلى غارات هؤلاء الثعالب ونطردها بيد قاسية عندما تظهر.

العروس
(١٦- ٣: ٥)

"١٦حَبِيبِي لِي وَأَنَا لَهُ".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كان الملك قد قام بزيارة خاطفة لعروسه ثم مضى. ولكن من خلال هذه اللقاء القصير أيقظ مشاعرها، كما حدث مع الرب يسوع – في يوم قيامته– وبعد زيارة قصيرة منه إذ أنه حول "القلوب البطيئة عن الإيمان" إلى قلوب مضطرمة متقدة. لقد أظهر الملك خفايا قلبه إلى العروس بحديثه إليها عبر النافذة المشبكة: فأخبرها عن الأرض ذات الشمس المشرقة والأزهار، أرض الراحة والغناء، أرض الفرح والوفرة: فدعاها لأن تنهض وتأتي إلى تلك الأرض السعيدة: لقد كشف لها عن توق قلبه لرؤية وجهها وسماع صوتها، وبينما راحت تصغي إلى هذه المكاشفات الرائعة، أخفق قلبها في داخلها بشدة، واستيقظ حبها. وإذ أدركت حبه وإخلاصه لها، هتفت تقول: "أنا لحبيبي، وحبيبي لي". لقد صار هدف قلبها الوحيد، بإدراكها أنها منية قلبه. وهكذا يتعامل المسيح مع المؤمنين به اليوم. فهو يكشف نفسه لنا، ويبين لنا مدى اشتياقه لأن نكون معه وجهاً لوجه، ولأن يسمع صوتنا ونحن نلهج بالترنيمة الجديدة. ومن جديد، وإذ يخاطب قلوبنا البطيئة في الطريق فإنه يجعلها تضطرم بمحبته، ويجعلنا ندرك أننا له وأنه لنا. وهكذا إذ ندرك محبته اختبارياً فإنه يتحدث إلى قلوبنا بحكمة تجعلنا لا نستطيع أن نتمالك أنفسنا بل نهتف بسرور عظيم قائلين: "أنا لحبيبي، وحبيبي لي".

"١٦يَرْعى بَيْنَ السَّوْسَنِ.
١٧إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ".

لقد شبّه الملك للتو عروسَه بسوسنة، وكشف لها عن المشاعر الدافئة التي يكنها لها في قلبه، ومن هنا أدركت أنها نبع الحياة والسعادة لديه. وخلال ليل غيابه عنها وإلى أن يحين موعد الزفاف فإنه "يرعى بَيْنَ السَّوْسَنِ". وهكذا المسيح خلال ليل غيابه ما الذي يسر قلبه سوى شعبه المحبوب؟ الحق يُقال إنه "يرعى بَيْنَ السَّوْسَنِ إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ". بالفعل سيجعلنا معه في المجد، كما صلى قائلاً: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا".. ولكنه إبان فترة الظلال سيُسر للمجيء إلى خاصته بحسب ذلك القول الآخر الجميل: "لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ". وكم هي صادقة وصحيحةٌ تلك الكلمات التي قالها لاهوتي كبير: "إن المؤمن يتمتع بحياة قلبية شفافة، وميراث غني، وأعني بذلك المسيح هنا، والمسيح في الآخرة"!

"١٧ ارْجِعْ وَأَشْبِهْ يَا حَبِيبِي الظَّبْيَ،
أَوْ غُفْرَ الأَيَائِلِ عَلَى الْجِبَالِ الْمُشَعَّبَةِ."

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تعبر العروس هنا عن رغبة قلبها في أن يكرر الملك زياراته لها كما تنـــزل الظباء وغفر الأيائل من الجبال ليلاً إلى السهول لكي تتغذى. وهكذا لنا أن نرحب بكل مناسبة يأتي بها الرب وسط شعبه فيما هم يعبرون ظلمة هذا العالم.

"٣: ١ فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي،
طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي،
طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ."

إن الزيارة الليلية التي قام بها الملك قد أيقظت مشاعر العروس. ولكنها مجرد زيارة؛ فقد أظهر ذاته عبر الكوى؛ لقد كشف لعروسه عن صورةٍ لعالم آخر أشد ضياءً- عالم من الشمس المشرقة والغناء؛ ودعاها للنهوض من نومها والمجيء إلى تلك الأرض الطيبة خلف الجبال والتلال؛ وعندها، وإذ أيقظ مشاعرها، انسحب عائداً إلى مكانه، وتُركت العروس خلفه في ظلام الليل. لقد سمعت عن ذلك النهار وهي تتوق إلى انبلاج الصبح، رغم أنها لا تزال في عتمة الليل. إن حضور الملك سوف يُطلِعُ الفجر، كما أن غيابه يشكل الليل. وهكذا يمكننا أيضاً أن نقول أن حضور يسوع هو نهارنا، وغياب المسيح ليلٌ بالنسبة لنا. ولكن العروس، وقد تُركت في ظلام الليل، فإن قلبها يشتعل اشتياقاً لحبيبها. لقد أوقِظت من تكاسلها ونعاسها. لقد استيقظ الحب في داخلها، وهي تفرح الآن للحديث إلى حبيبها الذي تحبه نفسها. ونجدها تستخدم، ولأربع مرات، العبارة "مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي".

ولكن الحب الذي استيقظ لا ينال مبتغاه دون الحبيب. الحب يجعل منها ساعيةً. حتى الآن كان العريس هو من سعى إليها، ولكن الآن جاء الوقت أخيراً لتكون العروس هي من سيسعى إليه. إن حال الخاطئ الذي قسّى قلبَه هو مثل حال المؤمن المتبلد الإحساس. إن المسيح هو من يسعى إلينا أولاً. وليس من خاطئ يسعى إلى المسيح ما لم يكن المسيح المخلص قد سعى إليه أولاً. لو لم يأتِ ابنُ الإنسان أولاً ليطلب ويخلص الضال، لما أمكننا أن نسمع عن جابي الضرائب الذي "كان يسعى طالباً أن يرى يسوع". ولو لم يدنو "يسوع نفسه" من التلميذين المحزونين على طريق عمواس، لما عادا إلى أورشليم في تلك الليلة نفسها ليجدا "يسوع نفسه" وسط تلاميذه.

إضافة إلى ذلك، حريٌ بنا أن نلاحظ أن العريس نفسه هو من تبحث العروس عنه. فهي لا تطلب انبلاج الصبح أو أوان الغناء أو أرض التغني، بل كانت تسعى إلى شخص، ألا وهو شخص العريس نفسه الذي تتوق لرؤياه. هو في نظرها أجمل من الأرض الأكثر جمالاً، وأفضل من كل البركات التي يمكن أن يأتي بها. عندما يستيقظ الحب فإن المسيح وحده يمكن أن يشبع قلب المسيحي. وكمؤمنين مشتاقين إلى الرب فإننا سنرحب بفكرة أنه قريباً جداً ستُمسح آخرُ دمعةٍ، وسينقضي آخر حزن،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وسيُغلبُ آخرُ مناوئ. ولكننا كمؤمنين مشتاقين للرب علينا أيضاً أن نطلب "المسيح نفسه". قال الرب للص المحتضر (على الصليب)، والذي خلص بالنعمة، "اليوم تكون معي في الفردوس" وليس "اليوم تكون في الفردوس". إن المدينة السماوية، بأسوارها التي من يشب، وبوابتها التي من اللؤلؤ، وشوارعها التي من ذهب، سوف لن تكون سماوية إن لم يكن المسيح فيها. وسيكون هناك حقاً "تَرَنُّمٌ وَفَرَحٌ أَبَدِيٌّ" بحيث يكون المسيح موضوع هذا الترنم ومصدر هذا الفرح. ويكون "اَلْحَمَلُ سِرَاجُهَا".

إلا أن العروس تعلّمنا أشياء أخرى. فقد استيقظ الحب؛ وجعل منها الحب ساعيةً، ولكنها لا تنال مطلبها في الحال. فرغم أنها كانت تطلب العريس إلا أنها أقرت أكثر من مرة أنها "لم تجده". فلماذا؟ أوليست تطلب الشخص المناسب؟ لا، بل تفعل. ولكنها في بادئ الأمر تطلبه بطريقة خاطئة. تقول: "عَلَى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي". لقد كانت تسعى إليه، وفي نفس الوقت كانت تحاول المحافظة على راحتها. ما كانت على استعداد في بداية الأمر لأن تتخلى عن راحتها الشخصية خلال سعيها إلى حبيبها. كم كان كثيرون منا ليطلبون المسيح لولا الجسد. إن محبة المسيح سوف تدفعنا لاتباعه، ولكن ميلنا إلى الراحة سيعيقنا عن ذلك. إننا نطلبه، ونحن مسترخين في أسرّتنا، ولذلك فإننا لا نجده. إننا ننسى ما قاله مرةً: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي".

"٢إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ،
فِي الأَسْوَاقِ وَفِي الشَّوَارِعِ،
أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي.
طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ."

إن قوة الحب تنتصر في العروس، وتقول: "إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ". إنها تتغلبُ على تكاسلها، ولكنها تخفق من جديد. لقد راحت تطلب حبيبها بطريقة خاطئة، والآن تطلبه في المكان الخطأ. فهو لن يوجد في طرقات المدينة وشوارعها العريضة؛ إنه يتغذى بين السوسن. وقد نقع نحن أيضاً في نفس الشرك. قد نود أن نحصل على المسيح، إلا أننا نسعى للحصول على المسيح وطرقات العالم العريضة. ولكن إن لم نستطع الحصول على المسيح واجتناب الجسد، فلن نحصل على المسيح ولن نحتفظ بالعالم. إن كان الصليب يشهد على محبة المسيح حتى الموت فإنه أيضاً يعبّر عن بغض العالم الذي لا يموت للمسيح. فمرذولاً من العالم، "تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ"، وإن كنا نريد أن نجد المسيح فعلينا أن "نَخْرُج إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"٣وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ،
فَقُلْتُ: «أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟»"

للمرة الثالثة تخفق العروس في مسعاها وراء العريس بالطريقة الخطأ. فبعد أن بحثت عنه في المكان الخطأ، ها هي تسأل عنه الناس الخطأ. إن عمل الحرّاس هو الحراسة وحفظ النظام. لعلهم يقيمون العدل، ولكن لا يمكنهم تقديم العون فيما يتعلق بقضايا الحب. "إن كان الأمر يتعلق بالفساد أو الدعارة" فإن حكام هذا العالم يستطيعون معالجة الموضوع؛ ولكنها مسألة "حب"، و"يسوع". فهي إذاً، في نظر العالم، "مسألة كلمات وأسماء"، والعالم "لا يتعامل مع هكذا قضايا". وإن أراد التعامل مع هذه القضايا، فإنه عندها يتحول إلى مضطهد لأولئك الساعين وراء هكذا أمور. فعبثاً نسعى، إذاً، إلى العسكر في هكذا مسائل، كما وقع المسيحيون منذ البداية في هكذا فخّ، ومنه تعلّموا أن أمراء هذا العالم قد صلبوا رب المجد. فنحن، كمثل أعمى بيت صيدا، الذي استعاد جزءاً من البصر، عرضةٌ لأن نرى الناس بما لا يتناسب مع حجمهم الحقيقي. فإننا "نرى الناس كأشجار تسير". إلا أن محبة المسيح سوف تجعلنا، مثل التلاميذ الأولين، نرى "يسوع وحده".

"٤فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً،
حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي،
فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أَرْخِهِ،
حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْتَ أُمِّي،
وَحُجْرَةَ مَنْ حَبِلَتْ بِي."

عندما تغلبت على كل العوائق– السرير، والمدينة، والحراس– كان لم يبقَ أمام العروس إلا القليل لتجدَ حبيبها. وعندما وجدَتْهُ فإنها "أَمْسَكتهُ وَلَمْ تُرْخِهِ". أفلا نقول، في أيامنا هذه، أن ما يعوز شعب الله جداً هو هكذا طاقة على الحب التي تتغلب على كل العوائق، وتربط الروح إلى المسيح، ولا تدعْه يمضي؟ ولكن للأسف، فعلى ضوء ما نرى من لا مبالاة سائدة ونقص في المحبة نحو المسيح، لا نجد إلا أن نصرخ من جديد مع أشعياء قائلين: "لَيْسَ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِكَ أَوْ يَنْتَبِهُ لِيَتَمَسَّكَ بِكَ" (أشعياء ٦٤: ٧). ففي الأيام التي كان فيها على الأرض، جاء يومٌ حدث فيه أن الكثيرين ممن اعترفوا به وتبعوه "رَجَعَوا إِلَى الْوَرَاءِ وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ"، أما الإثني عشر فقد "تمسكوا به وما كانوا ليتركونه يذهب". ويسألهم الرب: "«أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟»"، فيجيبون :"يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ". وفي هذه الأيام من غيابه المجيد، حيث تفتر محبة كثيرين، وتتدلى الأذرع، وتضعف الركب،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وعندما يتحول كثيرون عنه ولا يسيرون معه من بعد، كم هو ضروري وملحٌ أن أن ننهض لكي "نمسك به"، وإذ نتمسك به من أعماق قلوبنا، ولا نتركه يذهب عنا أبداً.

في ختام النشيد الأول رأينا العريس يقود العروس إلى حجرة طعام الملك، أما في هذا المشهد الختامي هنا فنجد العروس تقود العريس إلى بيت أمها. فبالنسبة للعروس الأرضية تمثل الأم شعب إسرائيل (رؤيا ١٢). وما لم يعطِ شعب الله الأرضي للملك مكانته التي يستحقها فإنهم لن ينالوا البركة. قد نحاول استجلاب المسيح إلى الأرض- بمعنى آخر، قد نسعى لربط اسم المسيح وسلطته بهذا العالم- ولكن سيكون هذا بدون جدوى. فالمسيح لا نجده في مدينة وأزقة هذا العالم، وإن كنا لا نجده هنا فلن نتمتع به هنا. يمكننا أن نعرفه ونتمتع به فقط فيما يخص المشهد السماوي حيث هو والذي ننتمي إليه. وكما رأينا، إن كان يوجَد فقط "خارج المحلّة" فإن "بيت الأم" سيعلّمنا أنه يمكن التمتع به فقط "خلال الحجاب".

"٥أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ،
بِالظِّبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الْحَقْلِ،
أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ."

ينتهي النشيد هنا، كما في النشيد الأول، بمناشدة عميقة تطلب فيها العروس من بنات أورشليم، بألا يُفسد أحدٌ أو شيء متعة الحب بين العريس والعروس. وبهذه الروح ننشد قائلين:

"خذ قلوبنا، واجعلها دائماً وأبداً
مغلقةً أمام الجميع سواك،
وها نحن عبيدك المخلصين،
اختمنا بختم المحبة إلى الأبد".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النشيد ٣
(٣: ٦- ٥: ١)
شركة المحبة

بنات أورشليم
(٣: ٦)

"٦مَنْ هَذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ،
كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَانٍ،
مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ،
وَبِكُلِّ أَذِرَّةِ التَّاجِرِ؟"

في هذا النشيد لا نرى بعدُ العروسَ مستريحة على سريرها، مناشدةً نعمة العريس أن ترفع همّتها الفاترة وتوقظ حبها الباهت. بل إنها تُصور وهي تستمتع بشركة الحب والخروج من البرية في طريقها إلى مشاركة الملك في الأمجاد. وتتساءل بنات أورشليم: "من هذه؟" أو "من تكون هي؟"

بالتأكيد يعرض المشهد صورةً جميلةً لإسرائيل، الذي قال الرب عنه: "وَجَدْتُ إِسْرَائِيلَ كَعِنَبٍ فِي الْبَرِّيَّةِ"، وأيضاً: "أَنَا عَرَفْتُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضِ الْعَطَشِ" (هوشع ٩: ١٠ و ١٣: ٥). صحيح أن الرب قد "احْتَذَبَهُمْ بِحِبَالِ الْبَشَرِ" و"بِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ" إلى أرض تفيض عسلاً ولبناً، إلا أنهم تحولوا عن الرب وتبعوا آلهة غريبةً. وهكذا فإن الله سيأتي بإسرائيل من جديد إلى البرية، وهناك "سيلاطفه"، ومن ثم يفتح له "باباً للرجاء" سيقود إلى أمجاد سليمان الحقيقي (هوشع ٢: ١٤- ٢٣).

والكنيسة، بدورها، ستقوم برحلةٍ إلى البرية- وذلك في رحلة حجها الأرضية- قبل أن تصل في النهاية إلى المجد السماوي. في هذا النشيد الجميل يمكننا أن نرى انكشافاً لهذه الرحلة، ليس في الضعف والإخفاق، بل حسب فكر الله، آخذين شركة الحب بالاعتبار. إذ أن للبرية امتيازاتها أيضاً إلى جانب سيئاتها، وهذا ما يصوره نشيد الأنشاد، ذلك أن الرحلة تُقام في محفّة الله. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المفقودات نفسها تصبح مناسبةً لفوحان العطر الزكي، تماماً كما أن طريق العروس يرافقه عبق البخور المتصاعد، ويعطّره المر واللبان، وأذرة التاجر. هناك مغزى روحي في أن أذرة التاجر مركبةٌ من أعشاب تم جمعها من البرية. إن التجارب، والاختبارات، والحرمان التي نعاني منها في رحلتنا في البرية، عندما تكون من الله، تصبح مناسبة لاستمطار نعم المسيح، هذه التي تتصاعد كـ "نَسِيمِ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ" حتى في الوقت الحاضر، وأيضاً ستتخلل التسبيح والتمجيد لدى ظهور الرب يسوع المسيح. هذا هو الجانب من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرحلة الذي يصوره نشيد الأنشاد، ليس البرية بعيوبنا وتدبير الله، كما في الرسالة إلى العبرانيين، بل البرية بمفقوداتها وامتيازاتها، كما في الرسالة إلى أهل فيلبي. لقد كان على بولس أن يذوق مرارة المفقودات في البرية، ولكنه أيضاً فرح كثيراً بالرب حتى أن تجاربه قد تحولت إلى فرص ينال فيها نعمة المسيح في القديسين "نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، ذَبِيحَةً مَقْبُولَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ". فيمكننا نحن أيضاً، مثل بولس، أن نحول ما يعوزنا إلى امتيازات إذا ما نظرنا إلى كل تجربة من التجارب على أنها فرصةٌ معطاة لنا من الله لننال بها نعمةً مسيحيةً ما. ولكن للأسف، كم أن التجارب التي نلاقيها في طريقنا تجعلنا نظهر طبيعة الجسد القبيح- بالتقلب، والعنف، والحسد، والكبرياء، ونفاد الصبر، والنميمة التي تميزها. إننا نفتح الباب أمام الجسد بجعل ظروف بريتنا تقف حائلاً بين أرواحنا والله. لنجعلنّ الله بين أنفسنا وظروفنا وعندها فإنها ستستجلب نِعَمَ المسيح. وسيفيض الإيمان، والرجاء، والمحبة، والحلم، والتواضع، وطول الأناة، والصبر من التجارب، وستكون رحلتنا عبر البرية عطرةً أمام الله بـــ "المر واللبان" و "بِكُلِّ أَذِرَّةِ التَّاجِرِ".

أصدقاء العريس
(٣: ٧- ١١)

"٧هُوَذَا تَخْتُ سُلَيْمَانَ،
حَوْلَهُ سِتُّونَ جَبَّاراً،
مِنْ جَبَابِرَةِ إِسْرَائِيلَ.
٨كُلُّهُمْ قَابِضُونَ سُيُوفاً،
وَمُتَعَلِّمُونَ الْحَرْبَ.
كُلُّ رَجُلٍ سَيْفُهُ عَلَى فَخْذِهِ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ."

إن السرير، أو المحفة التي تسافر عليها العروس خلال رحلتها عبر البرية قد قدّمها الملك لها. على نفس المنوال، فإن المسيحي لا يرتحل على نفقته الخاصة أو بحسب رغبته، بل بالطريقة التي يريدها الله. وعلى هذا لا بد من الجهاد (الروحي) في حياة المسيحي تحت ظل النعمة. ومن هنا تأتي الحاجة إلى أن يكون المسيحيون "جبابرةً". ونجد بولس الرسول يحثّ تيموثاوس، ليس فقط أن "تَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"، بل أيضاً يقول له: "اشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ تيموثاوس ٢: ١- ٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن الجنود الذين يرافقون التخت مسلحون جيداً. "كُلُّهُمْ قَابِضُونَ سُيُوفاً"، وهم "خبراء" في استخدام السيوف، وهم على أهبة الاستعداد لاستخدامها، إذ "كُلُّ رَجُلٍ سَيْفُهُ عَلَى فَخْذِهِ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ".

وهكذا أيضاً "الجندي الصالح" للمسيح يكون متسلّحاً بـــ "سَيْفِ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ" (أفسس ٦: ١٧). فنجد بولس يُذكّر تيماوس قائلاً له: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ".

ولكن لا يكفي الحصول على الكتاب (المقدس) وحسب. بل علينا أن نكون خبراء في استخدامه، ومن هنا فإن بولس يحضّ تيموثاوس أن "يَتَمَسَّكْ بِصُورَةِ الْكَلاَمِ الصَّحِيحِ"، "مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاِسْتِقَامَةِ" (٢ تيموثاوس ١: ١٣؛ ٢: ١٥).

إضافةً إلى ذلك، علينا أن نكون، ليس فقط متسلحين (بالكلمة) و"خبراء"، بل أيضاً مستعدين– "كُلُّ رَجُلٍ سَيْفُهُ عَلَى فَخْذِهِ". هكذا كان الحال أيضاً في أيام نحميا: "كَانَ الْبَانُونَ يَبْنُونَ وَسَيْفُ كُلُّ وَاحِدٍ مَرْبُوطٌ عَلَى جَنْبِهِ" (نحميا ٤: ١٨). عندما تتعرض للهجوم، لن يكون لديك متسع من الوقت لتقبض سيفك حتى. علينا أن نكون مستعدين "للكرازة بالكلمة" بمناسبة وبدون مناسبة.

"٩اَلْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَمِلَ لِنَفْسِهِ،
تَخْتاً مِنْ خَشَبِ لُبْنَانَ.
١٠عَمِلَ أَعْمِدَتَهُ فِضَّةً،
وَرَوَافِدَهُ ذَهَباً وَمَقْعَدَهُ أُرْجُواناً،
وَوَسَطَهُ مَرْصُوفاً مَحَبَّةً،
مِنْ بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ."

إن دخول الجبابرة يليه وصفٌ للتخت (أو المحفة) التي أُنيطت بهم مهمة حمايتها. ألا نرى في سرد تفاصيل التخت ما فيه بعض الرمز إلى شخص المسيح– عزاء نفوسنا وأساس إيماننا؟ إن خشب الأرز يرمز إلى ناسوته الكامل، العطر والذي لا عيبَ فيه؛ وأعمدة الفضة ترمز إلى قدرته على الفداء؛ والذهب يرمز إلى برّه الإلهي؛ والأرجوان إلى ملوكيته، والرصف إلى محبته، محبته الإلهية، التي هي أساس كل شيء. إن المحبة تأتي آخراً، على حدِّ قول أحدهم: "ثمة شيء وراء الذهب، ولكن ما من شيء وراء المحبة".

هذه هي الحقائق الأساسية التي يقاومها المناوئ والتي يهجرها العالَمُ المسيحي، إلا أن على الجندي الصالح ليسوع المسيح أن يدافع عنها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"١١اُخْرُجْنَ يَا بَنَاتِ صِهْيَوْنَ،
وَانْظُرْنَ الْمَلِكَ سُلَيْمَانَ،
بِالتَّاجِ الَّذِي تَوَّجَتْهُ بِهِ أُمُّهُ،
فِي يَوْمِ عُرْسِهِ،
وَفِي يَوْمِ فَرَحِ قَلْبِهِ."

لقد انشغلت بنات أورشليم بالعروس وبالموكب الزفافي، إلا أنهم يُدعَون الآن لينظرن إلى الملك. إن رحلة البرية بالنسبة لنا بتجاربها ونـــزاعاتها ستنتهي بنا إلى أمجاد الملكوت. لقد عرفنا الملك في عالم البرية هذا بإكليل الشوك، ولكننا سنعاينه في يوم الزفاف بإكليل المجد. وسرعان ما تنقضي رحلة البرية. وها هو يوم الزفاف سيأتي حين يُقدَّمُ له شعبُهُ "كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ". وذاك اليوم سيكون فعلاً "يَوْمَ فَرَحِ قَلْبِهِ" حيث "مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ" (أشعياء ٥٣: ١١).

العريس
(٤: ١- ١٦)

"١هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ!
عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ مِنْ تَحْتِ نَقَابِكِ.
شَعْرُكِ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلِ جِلْعَادَ.
٢أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ الْجَزَائِزِ،
الصَّادِرَةِ مِنَ الْغَسْلِ،
اللَّوَاتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ،
وَلَيْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ.
٣شَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ.
وَفَمُكِ حُلْوٌ.
خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ،
تَحْتَ نَقَابِكِ.
٤عُنُقُكِ كَبُرْجِ دَاوُدَ،
الْمَبْنِيِّ لِلأَسْلِحَةِ.
أَلْفُ مِجَنٍّ عُلِّقَ عَلَيْهِ،
كُلُّهَا أَتْرَاسُ الْجَبَابِرَةِ.
٥ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْ ظَبْيَةٍ تَوْأَمَيْنِ،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يَرْعَيَانِ بَيْنَ السَّوْسَنِ."

إن كان الآخرون مشغولين بأمجاد الملك، إلا أنه نفسه يستمتع بالتمعن في جمال وكمال عروسه. إنه ليبهجُ العروسَ أن تتحدث إلى الآخرين عن أمجاد الملك، أما هو فيسر بأن يفصح لها عما يختلجه من عواطف وأفكار نحوها. إنه لبركة أن تشهد للآخرين عن أمجاد المسيح، ولكن لإرساء السلام والفرح الراسخين في القلب، من الضروري أن تسمع من شفتي المسيح عن أفكاره المتعلقة بشعبه. وهذا ما يعطي للصلاة في (يوحنا ١٧) تلك الأهمية الفائقة، إذ أعطتنا فرصةً لنسمع ما يفكر به حيال خاصته.

إن الملك يكرر مرتين القولَ "هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ"، ولكنه لا يكتفي بوصف جمالها وتقديره لها بتعبير عام، بل يُسهب في وصف ملامحها المتعددة. ما من شك، بالنسبة لنا، في أن هذه الملامح المختلفة ترمز إلى المزايا الأخلاقية التي يراها المسيح في شعبه المؤمن.

(١) العينان هما نافذتا الروح اللتان تدلان على الشخصية والحالة الأخلاقية. إذ يشبّههما إلى حمامةٍ فإنما يوحي باللطف والدّعة والطهارة والمشاعر المخلصة، الممتزجة بالتواضع، إذ أن العينين هما وراء النقاب.

(٢) والشَّعْرُ يُشبّه بَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلِ جِلْعَادَ. إن الشعر يُستخدم في الكتاب المقدس كرمز لـــ "الخضوع" (١ كو ١١)، والانفصال عن العالم، والتكرّس لله.

(٣) والأسنان تشبه قَطِيعَ الْجَزَائِزِ الصَّادِرَةَ مِنَ الْغَسْلِ وهذا الغسل سيوحي بالنقاوة والطهارة؛ في هذا القطيع كُلُّ وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ، دلالة التماثُل، وَلَيْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ، كنايةً عن الكمال والاكتمال، وهذه هي جُلُّ الصفات التي يبتغيها المسيح في شعبه.

(٤) إن الشفاه هي كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ دلالة الجسم السليم المعافى، وبالتالي على الكلام الحكيم والحصيف للعروس. ذلك أن الشفاه هي رمز يدل على حالة القلب، لأنه "مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ". لقد كان الرب يسوع ممتلئاً نعمةً وحقاً ولهذا نقرأ عنه أن "انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ"؛ ويمكن لعروس الملك أن تقول "فَمُكِ حُلْوٌ". إن كانت محبة المسيح في قلوبنا، فإن مديح الرب سيكون على شفاهنا، والنعمة التي انسكبت على شفتيه ستعبّر عنها شفاهنا.

(٥) أما الخدود، فإن الجباه تُستخدم في الكتاب المقدس للتعبير إما عن الحياء والتواضع أو عن الجرأة. ومن هنا نجد أن النبي أشعياء قال لشعب إسرائيل: "إِنَّكَ قَاسٍ ..... وَجَبْهَتُكَ نُحَاسٌ" (أشعياء ٤٨: ٤). ويسأل الرب: "هَلْ خَزُوا لأَنَّهُمْ عَمِلُوا رِجْساً؟" ويأتي الجواب: "بَلْ لَمْ يَخْزُوا خِزْياً وَلَمْ يَعْرِفُوا الْخَجَلَ" (أرميا ٦: ١٥؛ ٨: ١٢). على غرار ذلك، نجد العروس تمتاز بالاعتدال والخجل، فهي تحمرُّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خجلاً حتى تتورّد وجنتاها "كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ"، ولكنها " تَحْتَ النَقَابِ". فوراء رمز خضوعها الظاهر يكمن تواضعٌ وحياءٌ حقيقي. وليس الحال عندها خضوع من الخارج وتمرّد من الداخل. إن الحياء مع الخضوع له أهمية كبيرة في نظر المسيح.

(٦) العنق: يرى الملك عنقَ العروس مزينةً بالمجوهرات النفيسة ويُشَبِّهها ببرج داود وقد عُلِّقَ عَلَيْهِ أَلْفُ مِجَنٍّ، إشارةً إلى انتصارات وأمجاد داود. والمسيح أيضاً سيتمجّدُ في قديسيه وسيكون موضع إعجاب كل من يؤمن به.

(٧) إن الثَدْيَين يرمزان إلى المشاعر والعواطف. يُستخدم الظبي بنفس المغزى في (أمثال ٥: ١٩) للإشارة إلى ما هو سارٌ بهيجٌ. إن "الظبيين" الفتيين يرمزان إلى ما هو نَضِرٌ. ففي عيني الرب، إن شعبه يتميز بالمحبة التي هي سارةٌ حقاً والتي لن تشيخ أبداً.

"٦إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ،
أَذْهَبُ إِلَى جَبَلِ الْمُرِّ،
وَإِلَى تَلِّ اللُّبَانِ."

الليلُ قادمٌ وينبغي على الملك أن يغادر العروس إلى أن ينبلجَ الصبحُ. رغم أن التواصل بين الملك والعروس هو في غاية البهجة، إلا أن ملء غبطة العريس لا تزال أمراً في المستقبل. إن العروس هي في البرية لا تزال؛ ولم يأتِ يومُ الزفاف بعد. وإلى أن يُشرقَ ذلك الصبْحُ ستمضي العروس إلى موطنه، وهذا يُذكّرنا، بلغةٍ أسرارية، أن ذاك هو ليل غياب المسيح في رحلةِ برّيتنا. إنه قد يتحادث معنا بطريقةٍ حميمية خلال الطريق؛ وقد يمنحنا بركةَ أن نُدرك أنه حاضرٌ معنا بمعنى روحي، ولكنه ذهب شخصياً إلى جبال الْمُرِّ، وَإِلَى تلال اللُّبَانِ، إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ.

"٧كُلُّكِ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي،
لَيْسَ فِيكِ عَيْبَةٌ."

إذا حدث أن بقيت العروس متخلفةً عنه مرةً، فهذا ليس بسبب أي نقص فيها. ففي عيني الملك هي "كُلُّكِ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي لَيْسَ فِيكِ عَيْبَةٌ". وعلى هذا النحو يرى الله شعبَه على ضوء غايته بأنهم "قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ".

"٨هَلُمِّي مَعِي مِنْ لُبْنَانَ،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يَا عَرُوسُ مَعِي مِنْ لُبْنَانَ!
انْظُرِي مِنْ رَأْسِ أَمَانَةَ ،
مِنْ رَأْسِ شَنِيرَ وَحَرْمُونَ،
مِنْ خُدُورِ الأُسُودِ،
مِنْ جِبَالِ النُّمُورِ."

إن تُرِكَتْ العروس في البرية لمرة، ومضى العريس إلى جبال الْمُرِّ ، فإنه على الأقل سيحمل معه مشاعر العروس. إنه يقول لها: "هَلُمِّي مَعِي،... انْظُرِي مِنْ رَأْسِ أَمَانَةَ". على نفس المنوال، إننا مدعوون لأن نطلب "مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ". إن أجمل ما على الأرض هو المناظر الرائعة في لبنان وأَمَانَةَ وشَنِيرَ وَحَرْمُونَ. ولكن ثمة مخاطر جسيمة تكمن خلف أروع مناظر الأرض جمالاً. إذ هناك خُدُورِ الأُسُودِ مِنْ جِبَالِ النُّمُورِ. إن وادي الأردن المروي جيداً قد يبدو بجمال جنة الرب، ولكن هناك تقبع سدوم وعمورة. فلنحاذر ألا ننظر إلى الوراء، كمثل زوجة لوط، بل علينا أن "نرفع نظرنا" إلى ما وراء "أروع الخلائق" وأن نتعلق بالأمور التي هي فوق، وليس بالأرضيات.

"٩قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ.
قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي بِإِحْدَى عَيْنَيْكِ،
بِقَلاَدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُنُقِكِ.
١٠مَا أَحْسَنَ حُبَّكِ يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ!
كَمْ مَحَبَّتُكِ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ،
وَكَمْ رَائِحَةُ أَدْهَانِكِ أَطْيَبُ مِنْ كُلِّ الأَطْيَابِ!
١١شَفَتَاكِ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَانِ شَهْداً.
تَحْتَ لِسَانِكِ عَسَلٌ وَلَبَنٌ،
وَرَائِحَةُ ثِيَابِكِ كَرَائِحَةِ لُبْنَانَ."

إن العريس يرغب بأن يحمل معه عواطفه نحو العروس، ولذلك يقول لها بالفعل: "قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي". ويكرر هذا القول مرتين: "قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي". حسنٌ أن نتعلق بالمسيح، ولكن ما من شيء يبهج القلب ويملأه بالسرور مثل إدراك المؤمن للفرح الذي يجده المسيح في شعبه. قليلةٌ وضئيلةٌ هي أفكارنا حول المسيح، ولكن لعلنا نستطيع أن نقول مع صاحب المزامير: "كَثِيراً مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ". ليس عَجَباً إن سَلَبَ المسيحُ قلوبَنا، بقدر ما هو عجيبٌ بالنسبة للعالم مدى تعلق المسيح بشعبه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وما الذي يمكن أن يراه الملك في عروسه فيستولي على مشاعره؟ إنه شيء بسيط. مجرد نظرة إلى عَيْنَيْها وإلى قَلاَدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُنُقِها. إلا أن تلك النظرة كانت نظرة حب، وكانت القلادة تدل على مدى هيامه بها. وكما نقول: "نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً". إن نظرة العين تدل على مدى المحبة في القلب، والقلادة على العنق تدل على أن محبة القلب هي نتيجة محبته هو نفسه لنا أولاً.

وعن محبة العريس كانت العروس قد قالت لتوها أنها أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ، وأن اسمه هو كرَائِحَةَ أَدْهَان طيبة، والآن يستخدم الملك نفس الصورة المجازية، ولكن على نحو أشد كثافةً. فيعبّر عن مدى سروره بحب العروس. فحبها ليس فقط أَطْيَب مِنَ الْخَمْرِ، بل أطيب منها بكثير، وعطر دهنها يفوق كل نوع آخر. وهكذا بالنسبة لقلب المسيح، فإن محبة شعبه تفوقُ كلَّ مسرات الأرض، ونعم شعبه لا يضاهيها مثيل. لعل وليمة سمعان التي أقامها للرب كانت عظيمة، إلا أن الوليمة التي أقامها الضيف غير المدعو- ألا وهو المرأة التي لا يُذكر اسمُها- هي أعظم بكثير منها بالنسبة للرب، ذلك "لأنها أحبّتْ كثيراً". وعلى حدّ قول أحدهم: "إن الرب يسوع يولي حالةَ القلب اهتماماً خاصاً؛ ولكنه يهتم بحياتنا أكثر من أعمالنا، لأن المحبة الحقيقية لا يمكن أن تكون بدون أعمال".

ولكن ليست النظرة في عين العروس وقلادة العنق وحدها تعبر عن الحب نحو العريس، بل أيضاً "الشفاه" و"اللسان"، و"الملابس" كلها تبهجُ قلبَ الملك. لقد كُتِبَ عن الأشرار أن "سمّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ". ولكنه يقول عن خاصته أن "تَحْتَ لِسَانِكِ عَسَلٌ وَلَبَنٌ". فالكلمات التي تخرج من شفاههم عذبةٌ بالنسبة للرب، والبر العملي للقديسين- وهو ثيابهم- هو كرائحة لبنان، غابة الأرز التي ترمز إلى الكمال الإنساني.

"١٢أُخْتِي الْعَرُوسُ،
جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ.
١٣أَغْرَاسُكِ فِرْدَوْسُ رُمَّانٍ،
مَعَ أَثْمَارٍ نَفِيسَةٍ فَاغِيَةٍ وَنَارِدِينٍ.
١٤نَارِدِينٍ وَكُرْكُمٍ.
قَصَبِ الذَّرِيرَةِ، وَقِرْفَةٍ مَعَ كُلِّ عُودِ اللُّبَانِ.
مُرٍّ وَعُودٍ مَعَ كُلِّ أَنْفَسِ الأَطْيَابِ.
١٥يَنْبُوعُ جَنَّاتٍ،
بِئْرُ مِيَاهٍ حَيَّةٍ،
وَسُيُولٌ مِنْ لُبْنَانَ".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أما وقد عبّر عن سروره بالعروس، فإن الملك راح بشبهها بجنة مغلقة، وهذا يدل على تكرس العروس لبهجته. فوسط صحراء قاحلةٍ لدى الملك جنته المغلقة تلك بينابيع مياهها المقفلة مَعَ الأَثْمَار النَفِيسَة لمسرة الملك.

منذ الأزل كان هدف الله أن تكون له جنةٌ في هذا العالم لمسرته. وبناء على رغبته تلك، فقد غرس الله جنةً في شرقي عدن. وفي تلك الجنة كانت هناك كُلّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ كل العالم. ولكن الخطيئة دخلت إلى العالم وتشوهت الجنة وأنبتت شوكاً وحسكاً.

ومن جديد، ومع مرور الأيام عاد الله فغرس جنةً. واختار إسرائيل من بين الشعوب وشبّههم بكرمةٍ في تلة مخصبة. وفرزهم وأحاط كرمه بسياجٍ، نَقَبَهُ وَنَقَّى حِجَارَتَهُ وَغَرَسَهُ كَرْمَ سَوْرَقَ وَانْتَظَرَ أَنْ يَصْنَعَ عِنَباً. ولكن خطيئتهم شوهت الجنة من جديد، وَصَنَعَ الكرمُ عِنَباً رَدِيئاً، واستحالت الأرضُ يباباً تطرح شوكاً ووروداً برياً (أشعياء ٥: ١- ٧).

ولا يزال الرب اليوم يغرس جنته على الأرض، ومن هنا أمكن للرسول أن يقول عن المؤمنين: "أَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللهِ". وفي هذه الجنة فإن أحدهم يغرس وآخرُ يسقي، ولكن الله هو الذي يُنمّي (١ كو ٣: ٦- ٩). ولكن، للأسف، ومن جديد، تتشوه الجنة، إذ "فِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُم وَزَرَعَ زَوَاناً فِي وَسَطِ الْحِنْطَةِ". وبنتيجة ذلك "طَلَعَ النَّبَاتُ وَصَنَعَ ثَمَراً وحِينَئِذٍ ظَهَرَ الزَّوَانُ أَيْضاً".

وإذ نتحول من شعب الله إلى كلمة الله، فإننا نجد في نشيد الأنشاد وصفاً كاملاً للجنة التي يريدها الله. فإذ نتسكع في أفياء هذه الجنة الجميلة ندرك، ليس فقط ما يلائم الرب، بل إلى أية درجة من الضآلة هو مقدار إجابتنا لرغبة قلبه.

دعونا نتذكر أولاً أن جنة الرب "جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ". وهذا يرمز إلى انفصالنا عن الخطيئة، وحفظنا لذاتنا، وتكرسّنا لله. ففي نظر الله، هذا العالم ما هو إلا "مكان قاحلٌ فيه مات يسوع"، ولكن في هذا اليباب يوجد أولئك الذين يمكن أن يُدعوا "خاصته". وإذ نصغي إلى رغبة الرب نحو خاصته التي عبّر عنها في صلاته العظيمة في (يوحنا ١٧) فإننا لا نلبث أن ندرك المعنى الروحي العميق للجَنَّة المُغْلَقَة التي نسمع عنها هنا. فإن كانت الجنة المغلقة تعني أن يفصل المؤمن ذاته عن البرية المحيطة، فمن هذا المنطلق نسمع الرب يقول للآب أن خاصته ليسوا من العالم. وإن كانت "الجَنَّة المُغْلَقَة" تعني الحفاظ على النباتات الحساسة سهلة المكسر، فإننا نفهم، إذاً، صلاة الرب لكي يحفظهم الله من الشرير. وأخيراً، وإن كانت "الجَنَّة المُغْلَقَة" تعني مكاناً مخصصاً لمتعة الملك، فإننا ندرك عندئذ أن الله يرغب في أن نكرس ذواتنا له.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هي ذي رغبة الرب: أن يكون له رفقةٌ في هذا العالم، وليسوا من هذا العالم، ومحفوظين من شرور العالم، ومكرسين لمرضاته، فيكونون له "جَنَّة مُغْلَقَة".

ولكن جنة الملك ليست "جَنَّة مُغْلَقَة" وحسب، بل جنة مروية أيضاً. لقد شبّه الله حالة شعب إسرائيل المتردّية بـــ "جنة لا ماء فيها"، ولكن لو رجعوا إليه لأصبحوا، على حد قول النبي، "كَجَنَّة رَيَّا وَكَنَبْعِ مِيَاهٍ لاَ تَنْقَطِعُ مِيَاهُهُ" (أشعياء ١: ٣٠، و ٥٨: ١١). فعلى هذا النحو لجنة الملك "عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ وَيَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ". إنها لا تعتمد على الصحراء المحيطة لتزودها بالماء، بل إن ينبوع المياه في داخلها. وهكذا هو الحال مع شعب الله المؤمن، إذ أن له معينٌ لا ينضب، ألا وهو الروح القدس "الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ". إنه حقاً الـــ "ينبوع". ولكن علينا ألا ننسى أن "النبع" يجب أن "يُغلق". من الممكن أن يحدث أن نحزن الروح حتى الصمت، ولكن كم ستكون نفوسنا ظمأى آنذاك، وكم سيكون شعب الله عقيماً حينئذ، إن أطفأنا الروح. علينا أن نحرص على إبقاء الباب "مغلقاً" أمام شهوات الجسد، لئلا نفسح مجالاً للأفكار الرديئة بأن تسيطر علينا، كما حدث في أيام ابراهيم عندما "جَمِيعُ الْآبَارِ .... طَمَّهَا الْفَلَسْطِينِيُّونَ وَمَلَأوهَا تُرَاباً".

من جهة أخرى، إن "العَيْن المُقْفَلَة" هي "يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ". فالعين تقدم الماء دون أن تنضب، والينبوع يرفع سوية تغذيتها. إن الروح القدس، ليس فقط عين لا تنضب، ثابتةٌ فينا على الدوام، وتسد كل حاجاتنا عبر رحلة حجنا، بل أيضاً نبعٌ داخل المؤمن يفيض إلى الحياة الأبدية (يوحنا ٤: ١٤). إضافة إلى ذلك، فإن النبع مخصص لمسرة الملك- فهو "مختوم". وكمثل العين، فإن الروح القدس منشغلٌ بنا وباحتياجاتنا، وكمثل النبع، فإنه منشغلٌ كلياً بالمسيح ويعمل جاهداً على أن يملأ قلوبنا به.

ثم أن جنة الملك جنةٌ مثمرةٌ. إن غراس هذه الجنة تشكل فِرْدَوْسَ رُمَّان، "مَعَ أَثْمَارٍ نَفِيسَةٍ فَاغِيَةٍ وَنَارِدِينٍ"، و"مَعَ كُلِّ أَنْفَسِ الأَطْيَابِ". قد تختلف الغراس في الحجم ودرجة الجمال، في رائحتها وإثمارها، ولكنها جميعاً لمسرة الملك. وهكذا الحال أيضاً بالنسبة لجنة الرب؛ فما من مُؤْمِنَين متماثلين، إلا أن الجميع يعملون لأجل مرضاته.

وأخيراً، فإن جنة الملك لا تُفيد في إمتاعه وحسب، بل هي أيضاً مصدر بركة لكل ما يحيط بها. فهي مثل "بِئْر مِيَاهٍ حَيَّةٍ وَسُيُول مِنْ لُبْنَانَ". وهكذا، وحيث أن جنة الرب "مغلقة"، وحيث أن "العَيْن مُقْفَلَة وهي يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ"، وحيث أنها تقدم ثمارها النفيسة للرب، فإنها ستكون حقاً مصدر بركة للعالم المحيط، وممراً لـــ "أنهار ماء حي"، يتدفق على أناس يحتضرون روحياً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كم هو صالحٌ لأرواحنا أن تتريث في جنة الملك وتطلب معرفة المغزى الروحي للأسوار التي تجعل منها جنة "مغلقة"، وللعين التي تنعشها، والثمار والأنواع التي تنمو هناك، والينابيع التي تفيض مياهاً تتدفق إلى الأراضي المقفرة فيما وراءها.

إننا في حاجة إلى كل درس نتعلمه من الجنة، لأن خدمتنا فقيرة بائسة وجزئية في أغلب الأحيان. إننا عرضة لبذل مجهود كبير على جزء من الجنة على حساب جزء آخر. ففي تاريخ الذين عملوا في جنة الرب نجد أن البعض كان منشغلاً للغاية في "تسييج الجنة بسور وخنادق" لدرجة أنهم أهملوا الأزهار والثمار. لقد كان عملهم مقتصراً في معظمه على إبقاء جنة الرب في معزل عن العالم وفي منأى من الشر، وما كان لديهم، بالتالي، سوى بعض الوقت للاهتمام بالنفوس، فنتجت عن ذلك جنةٌ آمنةٌ منيعةٌ بالفعل، ولكن ليس فيها إلا بعض الإثمار للرب وبعض البركة للعالم المحيط.

وبعد ذلك، ومن جديد، نسي البعض أن يبقي العين "مغلقةً". فأُعطي المجال للجسد أن يعمل دون رادعٍ في جنة الرب، وبهذا أُحزِنَ الروح القدس وأُعِيْقَ عملُه، ومن هنا ما عادت الجنة تعطي ثمارها التي تسر الله.

وآخرون، أيضاً، أُخِذوا بالأزهار والثمار جداً حتى أغفلوا السياج، فتصدّعت الأسوار وصارت في حاجة إلى ترميم، ومن الصدوع تسلل الشر، فاختنقت جنة الرب بالأعشاب الضارة وصارت بغير ثمر.

وأخيراً نذكر أن آخرين قد استحوذت عليهم الينابيع التي تتدفق إلى العالم المحيط فغفلوا عن الأغراس التي تترعرع في داخل الجنة، وهكذا ما عادت الجنة تقدم ثماراً للرب.

علينا أن نتذكّر أن الجنة ليست لنا بل هي للرب، كما يقول الملك "جنتي" (الآية ١٦). إنها "مغلقة" للرب؛ فالعين تسقي جنته؛ والثمار النفيسة تسر قلبه؛ وإن كانت الينابيع تتدفق من جنته فهي لغاية إنماء غراس جنته وحسب. إذا وضعنا هذا الفكر نصب أعيننا، فكم نجد أنه من الضروري ألا نهمل جنة الرب لئلا تصير عقيمة بلا ثمر.

"١٦اِسْتَيْقِظِي يَا رِيحَ الشَّمَالِ وَتَعَالَيْ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ!
هُبِّي عَلَى جَنَّتِي فَتَقْطُرَ أَطْيَابُهَا."

يدعو الملكُ رياح الشمال الباردة ورياح الجنوب الحارقة لتهبا على جنته، وبذلك تنضج أطياب الثمار فيها. هذا ما يفعله الرب غالباً إذ ينادي رياح هذا العالم المتضاربة لتهب على شعبه لتُخرجَ منهم ثماراً نفيسة بنعمته. إن غراس جنته قد ازدادت وأزهرت أكثر ما يكون عندما كانت الاضطهادات على أشدّها.

العروس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

(٤: ١٦)

"١٦ لِيَأْتِ حَبِيبِي إِلَى جَنَّتِهِ وَيَأْكُلْ ثَمَرَهُ النَّفِيسَ."

إن العروس تقول في شخص الملك: "إن كنتُ جنةً، وإن كان الملك يرى في هذه الجنة فردوسَ ثمار نفيسة، فليَأْتِ حَبِيبِي إِلَى جَنَّتِهِ إذاً، ولْيَأْكُلْ ثَمَرَهُ النَّفِيسَ". إن الجنة، في نظر العروس، ستكون مكاناً بائساً بدون حضور الملك فيها. ولعله يمكننا القول "ما السماء بدون المسيح؟ وما الفردوس بدون الله؟ وما معنى اجتماع شعب الله على الأرض إن لم يكن الرب نفسه في الوسط؟" ما الذي أعطى للحدث كل تلك البركات عندما "كان التلاميذ مجتمعين" في العلية والأبواب مغلقة في اليوم الأول من الأسبوع خوفاً من اليهود؟ ألم يكن السبب هو أن "جاء يسوع ووقف في وسطهم"؟ أولا نقرأ أنه في تلك الزيارة إلى جنته أن أحد التلاميذ "كان غائباً عندما حضر يسوع؟" إن حضور المسيح وسط خاصته هو الذي أحال جنته إلى فردوس.

العريس

(٥: ١)

"١قَدْ دَخَلْتُ جَنَّتِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ.
قَطَفْتُ مُرِّي مَعَ طِيبِي.
أَكَلْتُ شَهْدِي مَعَ عَسَلِي. شَرِبْتُ خَمْرِي مَعَ لَبَنِي.
كُلُوا أَيُّهَا الأَصْحَابُ.
اشْرَبُوا وَاسْكَرُوا أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ."

بسرور بالغٍ يستجيب العريس لدعوة العروس. أفلا نستطيع القول أن المسيح يُسر بملازمة شعبه المحب له؟ إن تلميذا عمواس "أَلْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: امْكُثْ مَعَنَا". ويستجيب الرب منعماً عليهما كما نقرأ "فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا". وإذ جاء إلى الجنة، فإن الملك لا يتناول من ثمار الجنة وحسب، بل يقيم وليمةً، ومن هنا يقول: "كُلُوا أَيُّهَا الأَصْحَابُ. اشْرَبُوا وَاسْكَرُوا أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ." قد نُولِمُ مأدبةً صغيرةً للرب كما حدث في بيت عنيا، ولكن كم تكون وليمته حافلةً لنا. إن وجد سروراً وسط خاصته، فإن حضوره هو الذي يملأ قلوبهم سروراً وحبوراً، ونقرأ أن "فَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ" عندئذ. وإذاً، أيضاً وأيضاً، خلال رحلتنا، نجده يُسر بالمجيء إلى جنته، وبعزلها عن هذه الأرض اليباب في البرية، ويتعشى معنا ونحنُ معه "إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ". فعندها في نهاية الأمر سنجلس إلى وليمة عرس الحمل في مسكنه السماوي المجيد، ولا نعود نخرج بعدها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النشيد ٤
(٥: ٢- ٦: ١٢)
إستعادة المحبة

العروس
(الآية ٧)

"٢أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ.
صَوْتُ حَبِيبِي قَارِعاً".

لقد انتهت وليمة العرس. وذهب الملك إلى جبال الْمُرِّ، وَإِلَى تلال اللُّبَانِ، إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ. في ليل غياب العريس تضاءل حب العروس، وها هي تنشد الراحةَ في منـــزلها. سرعان ما انتقلت من حالة الاحتفاء في حضوره إلى النوم في غيابه. في وقتٍ مضى، كان حبها قد ضَعُفَ، ولكن الآن حالة الحب لديها أشد انحداراً. فقبلاً كانت تستريح في بيتها، أما الآن فنجدها تنام. وحتى لو نامت، فإن هذا النوم ليس مستقراً أو عميقاً- فنجدها تقول: "أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ".

للأسف، فإن محبتنا، مراراً وتكراراً، قد يصيبها البرود رغم أننا نكون قد عرفنا واستمتعنا بمحبة المسيح. كم تتبدل قلوبُنا سريعاً، مثل ذينك التلميذين، اللذان انتقلا من تناول الوليمة مع الرب في العلّية إلى النوم في بستان الزيتون. إلا أن هذا الرقاد ما هو سوى نومٍ قلق، لأن القلب الذي تذوق محبة المسيح لن يستقرّ أبداً إن تنحى جانباً وسعى وراء الراحة في هذا العالم الفاني. فالمسيح يود أن يستمتع العالم بمحبته. وحكذا حالةٍ يقع فيها الإنسان إنما هي نوم غير مستقر.

إلا أن محبة العريس لا تتغيّر. قد تنام العروس، ولكن لا يهدأ باله ولا يرتاح إلى أن يوقظها من حالة العواطف المتكاسلة. كم هي صحيحة كلمات ذاك الذي قال: "إن قلب المسيح لا يسأم أبداً، إن عواطفه نضرةٌ دائماً نحو عروسه كما عندما اختارنا الله فيه من قبلِ تأسيس العالم".

العريس
(الآية ٢)

"٢«افْتَحِي لِي يَا أُخْتِي يَا حَبِيبَتِي يَا حَمَامَتِي يَا كَامِلَتِي،
لأَنَّ رَأْسِي امْتَلأَ مِنَ الطَّلِّ،
وَقُصَصِي مِنْ نَدَى اللَّيْلِ»."

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قد تنشد العروس الراحة، ولكن ليس العريس هكذا. ها هو يقرع على بابها يستأذنها الدخول. بالحب يستميل ويناشد عواطفها ساعياً لاستعادة القلب الذي فتر. إن كلماته المؤثرة: "افْتَحِي لِي"، تعبّر عن توق قلبه ليملأ قلبَها. إنه يغدق عليها كل وسائل التحبّب، "يَا أُخْتِي يَا حَبِيبَتِي يَا حَمَامَتِي يَا كَامِلَتِي". كان يمكنه أن يقول لها "ملكك، صديقك، حبيبك"، ولكن الحبيب يأخذ مساراً آخر مدروساً أكثر ليصل إلى قلبها. فيذكّرها بكل ما يراه فيها. إن حبها الآخذ في الاضمحلال لم يغيّر أفكاره نحوها. والآن، وفي محاولة أخيرة يناشد بها قلبها، فإنه يتحدث عن معاناته من أجلها. فقد واجه الليلَ والبرْدَ والظلام والندى، كي يُوقظ حبيبته.

في كل هذا المشهد الأسراري، ألا نلاحظ الطريق التي يتبعها المسيح ليسترد عواطفنا المتكاسلة المتبلدة لمسرة محبته؟ ففي ليل غيابه قد نسعى إلى الراحة في هذا العالم البائس، ولكن محبته لنا كبيرة لا يريد معها أن يتركنا نستريح بعيداً عنه. من المهيب حقاً أن يقول لنا الرب: "ناموا واستريحوا". ولكن إن ضللنا سواء السبيل إليه، فإنه يتبعنا بنعمة التجديد، ويقرع على بابنا. للأسف كلما جاء وجد أبواب قلبنا مغلقة وموصدة بالمزلاج دونه واضطر ليقول بإزاء فتورنا أن: "افتح لي". كم هي مؤثرة هذه الكلمات! وكم تُظهرُ وبأسفٍ قلوبَنا الفارغة غير المشبعة؛ ومع ذلك، وفوق ذلك، كم أنها ببركة تتحدث عن محبته التي لا تتبدل، وعن توقه ليملأ قلوبنا بذاته. إن الأمر كما لو أنه يقول لنا: "لقد تحولتم إلى أهداف أخرى و لم تجدوا راحةً؛ إن نفوسكم تنام ولكن لا ترتاح؛ ويستيقظ قلبكم ولكن لا يجد رضاه، فافتحوا لي الآن".

إلا أن المسيح لن يفرض نفسَهُ على النفس. سوف لن يكون ضيفاً غير مدعو. إنه يحب أن يتمسك به المؤمنون؛ ومن هنا كانت الكلمة للعروس أن "افتحي". إن العريس يقف منتظراً وهو راغبٌ في الدخول، لكن على العروس أن "تفتح" باب قلبها. هل نشكو من قلة محبتنا للمسيح؟ لنتذكَّرْ أنه راغب في ملء قلوبنا بمجرد أن "نفتح" الباب وندعه يدخل. إن المزلاج هو من جهتنا من الباب.

هل من أشياء تُحسب لغاية إيقاظ عواطفنا المتكاسلة الناعسة أكثر من إدراكنا لذلك، فهو لا يزال يحبنا رغم كل اعوجاجاتنا، ولا يزال مستعداً لأن يقول لنا: "أنت لي"، "يا أختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي".

إضافة إلى ذلك، كم سيحرك القلبَ الذي فتر أن يسمع من جديد عن الآلام التي احتملها المسيح من أجلنا. يا لها من رحلة مر بها عريس روحنا ليربح قلوبنا! يا لها من ليلة مليئة بالكرب والعذاب قد اجتازها! وفي تلك الليلة كم من قطرات ندى تساقطت من جبينه لكي يفوز بمحبتنا. لقد سَحَقَ فؤادَه ليربح قلوبنا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن تحولت قلوبنا إلى وجهة أخرى، إن فترت محبتنا، فقد نحصل على نظرة متجددة إلى ذاك الذي يقف على بابنا ويقرع، ولعلنا نصغي إلى صوته يقول لنا:

أريد محبة قلوبكم : "افتحوا لي".

أحبكم: "يا أختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي".

لقد تألمتُ لأجلكم: "رَأْسِي امْتَلَأَ مِنَ الطَّلِّ وَقُصَصِي مِنْ نَدَى اللَّيْلِ".

"٣قَدْ خَلَعْتُ ثَوْبِي فَكَيْفَ أَلْبِسُهُ؟
قَدْ غَسَلْتُ رِجْلَيَّ فَكَيْفَ أُوَسِّخُهُمَا؟"

إن العروس، ورغم أنها غير مبالية بهذه المناشدة المؤثرة، فإنها لا تعرف كيف تنفض عنها غبار الكسل والنعاس. فتجد أنه من الأيسر لها أن تخلع الثوب بدل أن ترتديه، من الأيسر لها أن تكشف عن عورتها بدل أن تستر نفسها. إن الاستجابة لهذا النداء يتطلب طاقة وتضحية. الاسترخاء الأناني أضعف العروس، وتسأل مرتين: "كيف لي؟" عليها أن تتعلم بالفعل، وقد تركت مع نفسها، أنه ليس في مقدورها أن أن تطرح عنها النعاس والنوم المتكاسل بسهولة. وهكذا أيضاً عندما تفتر المشاعر نحو المسيح، ونستريح منشغلين في أمورنا مثل العروس، قد يوجه إلينا نداءٌ مؤثر لليقظة ، ولا نعرف كيف نتخلى عن كسلنا وتراخينا. وإن كنا عاجزين عن تجديد نفوسنا أو استعادتها، فهو يستطيع ذلك، وهو يفعل ذلك. "يردُّ نفسي" هو التعبير الذي يقوله ناظم المزامير من خبرته. وفي المشهد الذي يلي ذلك، نلاحظ كيف يعمل الحب على استعادة عواطفنا المتبلدة، بطريقة قد تكون مؤلمة بالفعل ولكنها تقود إلى نهاية مباركة.

"٤حَبِيبِي مَدَّ يَدَهُ مِنَ الْكُوَّةِ،
فَأَنَّتْ عَلَيْهِ أَحْشَائِي."

لقد كلمها العريس لتوه، ولكنه مد يده الآن للعروس، وهذا النداء الصامت ملأ قلبها بالتوق والشوق للعريس. هكذا كانت خبرة إخفاق بطرس، إذ في نفس اللحظة التي أنكر فيها المسيح، فإن الرب "استدار ونظر إليه". لقد كانت تلك النظرة معبرة أكثر من الكلمات. فبدا وكأن الرب يقول له: "لقد أنكرتني، ولكني أحبك". وتلك النظرة، كمثل مد العريس ليده في نشيد الأنشاد، فعلت فعلها في استرداد بطرس، إذ أن بطرس "خرج وبكى بكاءً مراً". أفلا تضطرم قلوبنا فينا عندما يمد الرب يده نحونا في إخفاقاتنا، تلك اليد التي تحمل علامات الجراح والتي تخبرنا عن مدى محبة المسيح التي لا تتبدل نحونا؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"٥ قُمْتُ لأَفْتَحَ لِحَبِيبِي،
وَيَدَايَ تَقْطُرَانِ مُرّاً،
وَأَصَابِعِي مُرٌّ قَاطِرٌ،
عَلَى مَقْبَضِ الْقُفْلِ.
٦ فَتَحْتُ لِحَبِيبِي،
لَكِنَّ حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ.
نَفْسِي خَرَجَتْ عِنْدَمَا أَدْبَرَ.
طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ.
دَعَوْتُهُ فَمَا أَجَابَنِي."

هذا النداء تغلب على نعاس العروس. فتنهض لتفتح الباب لحبيبها. الباب الذي كان يقف عنده كان مدخلاً معبقاً بأريج حضور العريس، بعد أن غادر المكان. هكذا أيقظ الحب عواطفها. لو لم تتجاوب العروس مع ندائه لما غادرها الآن. فغاب عنها الآن لكي يوقظ عواطفها ويدب النشاط فيها. وكان ناجحاً في ذلك. فقد تنشطت العروس بالكلية: "قُمْتُ لأَفْتَحَ لِحَبِيبِي"، "فَتَحْتُ لِحَبِيبِي"، "طَلَبْتُهُ"، هذه بعض العبارات التي نطقت بها والنابعة من قلبها. إن كل عبارة تقولها إنما تعكس طاقة عواطفها المتجددة. ولكن حتى الآن كل شيء لا جدوى منه. لقد ذهب العريس، دون أن يجيبها. كان العريس هو من طلبها أولاً، ولما لم يجد استجابة من العروس، فإن حبه اتخذ منحىً آخر جعل العروس هي التي تسعى طالبةً إياه الآن، دون أن تلقى استجابةً منه. هل تغير حب العريس لها؟ هل تخلى عن عروسه؟ لا. لم يكن حبه هو الذي تغير بل طريقة تعبيره عن هذا الحب هي التي تغيرت. على العروس أن تتعلم أن شركة الحب يمكن فقدانها بسهولة ولا يمكن استعادتها إلا بخبرات التواضع.

وعلى نفس المنوال فإن الحب يعالج "القلوب البطيئة" للتلميذين على طريق عمواس. فقد كانا يسيران، إلا أن الرب تبعهما، وهكذا عالج، بنعمة تجديد، عواطفهما، وهكذا أحال "قلبيهما البطيئان" إلى "قلبين متقدين". وإذ أيقظ عواطفهما، فإنه "اختفى أمام ناظريهما". ذاك الذي سعى وراءهما، انسحب من أمامهما تاركاً خلفه ساعيين يلتمسانه بدلاً من تائهين عنه. وفي تلك الساعة ذاتها من الليل قاما ورجعا إلى أورشليم. وراحا يطلبان الرب، ووجداه وسط خاصته.

إن الرب يرغب أن يسعى المؤمنون طالبين إياه. وأولئك لن يخيبوا، حتى ولو عبروا خبرات ألم وكرب قبل أن تتجدد قلوبهم المعوجة لتصل إلى فرح التمتع بمحبة المسيح. هكذا كانت خبرة العروس في بحثها بعد ذلك عن العريس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"٧وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ.
ضَرَبُونِي. جَرَحُونِي.
حَفَظَةُ الأَسْوَارِ رَفَعُوا إِزَارِي عَنِّي."

إن فقدان المشاعر يعني خسران رفقة العريس. إضافة إلى ذلك، فإنه يعرّض العروس للتعامل مع حراس المدينة وحفظة الأسوار.

إن عمل الحراس هو حفظ النظام في المدينة. فكيف يحدث أن يجدوا العروس تتجول في المدينة ليلاً دون أن يكون العريس معها؟ هذا خلاف للنظام، وكان لهم الحق، بالتالي، بتوبيخها. لقد "جرحوها"، ولكن "أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ". ومن جديد، على حفظة الأسوار أن يحموا المدينة من هجمات العدو والدخلاء. وأن يقفوا بالمرصاد أمام كل داخل ويتأكدوا من هويته فيما إذا كان صديقاً أم عدواً. إنهم مخلصون لعملهم من خلال تعاملهم مع العروس. عليهم أن يتأكدوا مما إذا كانت هي حقاً من تدّعي، ولذلك جردوها من إزارها. عندما تتعرج مسالكنا، ألا نعرض أنفسنا للتوبيخ من قبل أولئك المنوط بهم أن يراقبوا ويحرسوا أنفسنا؟ إن الله غالباً ما يقوم بعمل التجديد من خلال آخرين. ألا نستطيع القول أن بولس كان يقوم بدور الحارس عندما نشب خلاف حاد بينه وبين بطرس حين وقف في وجهه وكشف رياءه كمن ينـــزع الإزار عن الوجه؟ ولكن هذه الخبرات، رغم أنها تكون مؤلمة، إلا أنها تعمل على تجديد النفوس الصادقة. وهكذا كان الحال مع العروس؛ فتصرفات "الحراس" و"حفظة الأسوار" أيقظت في العروس توق قلبها إلى العريس– هذه المشاعر التي لم تستطع أن تخفيها عن الآخرين.

"٨أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ،
إِنْ وَجَدْتُنَّ حَبِيبِي،
أَنْ تُخْبِرْنَهُ بِأَنِّي مَرِيضَةٌ حُبّاً."

إذ أنها عاجزة عن تمالك عواطف الشوق التي يطفح بها قلبها، فإن العروس تناشد الآخرين، إذا ما وجدوا حبيبها، أن يخبروه بأنها مريضة من الحب. إنها تفترض أن يعرف الآخرون عمن تتكلم. ولكن بالنسبة لهؤلاء، هذا الشخص غير معروف.

بنات أورشليم
(٩)

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"٩مَا حَبِيبُكِ مِنْ حَبِيب،
أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ!
مَا حَبِيبُكِ مِنْ حَبِيب،
حَتَّى تُحَلِّفِينَا هَكَذَا!"

لم يعرف هؤلاء حميمية الحب الذي يجمعها بالعريس، ولا يستطيعون فهم المشاعر التي تملأ قلب العروس. فيسألونها: "مَا حَبِيبُكِ مِنْ حَبِيبٍ؟" ولكن ما هذه إلا خطوة أخرى في سبيل استعادة العروس. يجب أن تشبع دوافعها نحو العريس. هل حبيبها مهمٌ بالنسبة لها أكثر من أي حبيب آخر بالنسبة لأي حبيبة؟ لا يبدو هذا واضحاً كثيراً بالنسبة للآخرين. لقد رقدت تستريح لوحدها دون العريس، وعندما قرع بابها لم تستطع أن تحمل نفسها لتدعه يدخل.

أقرّ بطرس بمحبته الكبيرة للرب عندما قال: "«وَإِنْ شَكَّ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ!»". ولكن بطرس أبدى محبة ضعيفة للرب عندما أغفى في بستان الزيتون، ولم يبد أي محبة عندما أنكر الرب في البلاط. ومن هنا نفهم تكرار الرب يسوع السؤال لبطرس: "أتحبني؟" وذلك بغاية استرجاع بطرس.

إن العروس، وإزاء هذا السعي، تبرهن حقيقة مشاعرها التي تعتمل في قلبها، فتبوح بكل ما في نفسها نحو العريس.

العروس
(٢- ٧)

"١٠حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ.
مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ.
١١رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ.
قُصَصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ.
١٢عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ،
مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ جَالِسَتَانِ فِي وَقْبَيْهِمَا.
١٣خَدَّاهُ كَخَمِيلَةِ الطِّيبِ وَأَتْلاَمِ رَيَاحِينَ ذَكِيَّةٍ.
شَفَتَاهُ سَوْسَنٌ تَقْطُرَانِ مُرّاً مَائِعاً.
١٤يَدَاهُ حَلْقَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعَتَانِ بِالزَّبَرْجَدِ.
بَطْنُهُ عَاجٌ أَبْيَضُ مُغَلَّفٌ بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ.
١٥سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيزٍ.
طَلْعَتُهُ كَلُبْنَانَ. فَتًى كَالأَرْزِ.
١٦حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هَذَا حَبِيبِي وَهَذَا خَلِيلِي يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ."

هذا الوصف الجميل ما هو إلا خطوة أخرى من يقظة الحب، ففي حين تُظهر العروس كمالات العريس للآخرين، فإن قلبها المنشغل به وبأمجاده، ينتعش من جديد ومن كل الأعماق. لكي نشهد للآخرين عن أمجاد وكمالات المسيح علينا الامتلاء بالمحبة المتجددة نحوه.

هذا التصوير المجازي المجيد يليق بالمسيح فقط. فكمالاته هي التي تُصوّر لنا هنا. فهو وحده "أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ. مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ". ومهما كان الآخرون، فهو "مُعْلَمٌ": وأياً كان الآخرون فهو "مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ".

إن صورة عظمة جلاله الإلهي تعبر أمام ذهننا كذهب نقي خالص.

إن قُصصه مسترسلة وداكنة، وتدل على ناسوته. فليس لديه شعر أشيب أو علائم تقدم في السن. وهو دون الجميع لا يطعن في السن. وسنوه لن تخزى.

إن عينيه اللتين تشبهان الحمام تدلان على مدى حنوّه وتحنانه. و"مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ" تشير إلى نقائه. "عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ". و"جَالِسَتَانِ فِي وَقْبَيْهِمَا" تشير إلى كمال صورته في نظر أولئك الذين "كل الأشياء منكشفة وظاهرة أمامهم".

الوجنتان تدلان على الجمال والجاذبية. لم يرَ العالم جمالاً في المسيح، ولطموه على خده. ويهوذا أقرّ بانجذاب نحو المسيح ولكنه خانه بقبلة على وجنته. من جهة أخرى، إن المؤمن قد يستمتع بجمال وجاذبية المسيح كسرير من الأعشاب العطرية الطيبة العرف تسترعي إعجاب العابرين.

شفتاه تُشبّهان بسَوْسَن تَقْطُرَانِ مُرّاً مَائِعاً. والسوسن يدل على النقاء والمر المائع يدل على النعمة. اعترف أشعياء بأن شفتيه ليستا نقيتين، أما المسيح فقد كان كان نقياً، ولم يكن في فمه غش. وأمكن القول عن المسيح أن "انسكبت النعمة على شفتيك". وخلال حياته في هذا العالم لم تنفصل كلمات النعمة عن شفتيه كمثل المر الزكي الرائحة.

يَدَاهُ حَلْقَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعَتَانِ بِالزَّبَرْجَدِ. إن الحلقة (أو الخاتم) هي رمز السلطة (تك ٤١: ٤٢؛ است ٣: ١٠)، و علامة على الحب (لو ١٥: ٢٢). لقد عبّر العالم عن بغضه للمسيح بتسميره إياه على الصليب، إلا أن المؤمن يُسر بأن يدرك أن كل القوة هي في يدي المسيح، ولكن هذه اليد التي تمتلك القوة يحركها الحب.

إن البطن، أو الجسد، يُشَبَّهُ بعَاج أَبْيَض مُغَلَّف بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ. إن بياض ولمعان العاج يُشير إلى كمال المسيح الذي كان بلا عيب أو دنس، والياقوت يدل على نفاسة المسيح. يصور بطرس هذه النظرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المزدوجة إلى المسيح عندما يتحدث عنه أولاً واصفاً إياه بأنه "بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ"، وفي موضع آخر يكتب قائلاً: "فَلَكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةُ" (١ بطرس ١: ١٩؛ ٢: ٧).

سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيزٍ، دلالة على رسوخ وثبات الهدف الذي كان يسعى الرب يسوع لتحقيقه. القاعدة هي ذهب خالص، بمعنى أن ثبات المسيح وقوته لهما أساس راسخ في البر الإلهي.

إن طلعته أو سيماءه لا تدل فقط على الوجه بل على كل مظهره. إنه يشبه لبنان، وهذا يذكّرنا بروعة وقداسة وجلال المسيح.

وفمه هو الأكثر حلاوة. في اللغة التصويرية للنشيد نجد أن القبلة مرتبطة بـــ "الفم" أكثر من الكلام. ومن هنا نفهم أن كلام العروس في وصفها الحار لحبيبها، إنما يرمز إلى حلاوة وعذوبة محبة المسيح.

"كُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ". في يسوع المسيح نجد كل حلاوة نشتهيها. وهنا يستقر القلب راضياً. في الصورة التي يرسمها دانيال نجد الرأس من ذهب أما الْقَدَمَيْنِ وَالأَصَابِعَ فَبَعْضُهَا مِنْ خَزَفٍ وَالْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ. هنا نجد تشبيه رأس العريس بالذهب الصافي، أما سَاقَاهُ فمثل عَمُودَي رُخَامٍ مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيزٍ. العريس ليس فيه تلفٌ أو فساد. وطلعته كلها مهيبة. إنه محبب كلياً.

وفي ختام وصفها يمكن للعروس أن تقول: "هَذَا حَبِيبِي وَهَذَا خَلِيلِي". وهكذا يمكن للمفتُدى أن يقول عن المسيح: "هَذَا حَبِيبِي وَهَذَا خَلِيلِي"، حتى وهم يجتمعون في الصلاة مرنمين:

"إن الأسماء المجيدة مجتمعةً،
للحكمة، والمحبة، والقوة،
التي عرفها البشر،
أو حملتها الملائكة،
كلها تعجز عن إيفاء حقه،
وتقصر عن وصف المخلص".

بنات أورشليم
(٦: ١)

"١أَيْنَ ذَهَبَ حَبِيبُك،
أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أَيْنَ تَوَجَّهَ حَبِيبُكِ،
فَنَطْلُبَهُ مَعَكِ؟"

إن الوصف الجميل للعريس يطرح سؤالاً جديداً في ذهن بنات أورشليم. كانوا قد سألوا العروس: "بم يختلف حبيبك عن غيره؟" والآن يسألونها: "أَيْنَ ذَهَبَ حَبِيبُكِ أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ؟" إن انتعاش عواطف العروس يتوقف على جواب هذين السؤالين. إذا فترت محبتنا للمسيح، فما علينا سوى الإجابة على هذين السؤالين: "من هو؟" و "أين هو؟" ومن جديد، وإذ تمتلئ قلوبنا به، فإنها تتقد بمحبته.

العروس
(٦: ٢، ٣)

٢"حَبِيبِي نـــزلَ إِلَى جَنَّتِهِ إِلَى خَمَائِلِ الطِّيبِ،
لِيَرْعَى فِي الْجَنَّاتِ وَيَجْمَعَ السَّوْسَنَ.
٣أَنَا لِحَبِيبِي وَحَبِيبِي لِي.
الرَّاعِي بَيْنَ السَّوْسَنِ."

لقد أظهرت العروس أسر العريس لها بكمالاته، وإن انشغالها الدائم به يجعلها تظن أنها ستعرف وجهة سيره أينما ذهب. لقد طلبتْه في المدينة ولكنه لم يكن هناك.

وتقول: "حَبِيبِي نـــزلَ إِلَى جَنَّتِهِ"، وهي بقعة عطرة حيث يستطيع أن يرعى ويجمع السوسن. ما من شيء يُسر قلب المسيح في العالم أكثر من "خاصته الذين هم في العالم". فبهم كل مسرته. وهناك فقط يجد خَمَائِلِ الطِّيبِ. إن جنة الرب هي عبارة عن محبيه، وإن الروح المفتداة تعرف جيداً أن المسيح يمكن أن يُوجد مع شعبه. كانت هذه هي حال تلميذي عمواس. عندما تجددا قاما في الحال وعادا إلى أورشليم (أورشليم ٢٤).

العريس
(٦: ٤- ٩)

"٤أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي كَتِرْصَةَ،
حَسَنَةٌ كَأُورُشَلِيمَ،
مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ."

شيئاً فشيئاً يُصار إلى إرشاد العروس حتى تجد نفسها في حضرة العريس، وتسمع صوته في نهاية الأمر. أول كلمات تسمعها وتثير ذهولها هي: "أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي". هل من كلمات أُخر يمكن أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تؤثر كمثل هذه على قلبٍ ما برح منذ زمن يبحث عن الحبيب وقد فتر الحب فيه؟ هل هناك أروع من العودة إلى قرب الحبيب بعد بعاد؟ ما أجمل أن نكتشف أنه، ورغم كل اعوجاجاتنا، لا يزال في مقدورنا أن نقول: "أنا لحبيبي، وهو لي"، وتسمع الروح المتجددة نفس الكلمات حافلة بالنعمة: "أنا لحبيبي، وهو لي". عندما يكون القلب على استعداد لتوبيخ الذات على اعوجاج سلوكها مبتعدةً عن هكذا مخلص، عند ذلك فقط، وإذ تتحسس النفس المتجددة لعدم أهليتها، كم سيكون عذباً أن نسمعه يقول: "أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي". عندما أشعر قلبياً كيف استوجبتُ التوبيخ فكم هو مؤثرٌ أن أشعر في نفس الآن بتقديره لي في هذا. ألا يذكرنا هذا بالمشهد عند قيامة الرب يسوع؟ فقد كان تلاميذه مجتمعين والأبواب مغلقةً "فوقف يسوع في وسطهم". كان بعضهم قد نام في ساعة كربه، وتخلى الجميع عنه في حضور أعدائه وهربوا تاركينه وحده في وقت الشدة. ولعلنا نتساءل: أليس من المفترض أن يكون مستاءاً منهم في يوم انتصاره ذاك؟ لا، بل إن أولى كلمات نطق بها هي: "السلام لكم".

ويتابع العريس وصف نقاط الجاذبية التي يجدها في عروسه التي كلفته كل ذلك العناء. فأروع المدن لا تضاهي جمال وبهاء عروسه.

"٥حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ،
فَإِنَّهُمَا قَدْ غَلَبَتَانِي.
شَعْرُكِ كَقَطِيعِ الْمَعْزِ،
الرَّابِضِ فِي جِلْعَادَ.
٦أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ نِعَاجٍ،
صَادِرَةٍ مِنَ الْغَسْلِ،
اللَّوَاتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مُثْئِمٌ،
وَلَيْسَ فِيهَا عَقِيمٌ.
٧كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ خَدُّكِ تَحْتَ نَقَابِكِ."

رغم اعوجاجات العروس، فإن أفكار عريسها نحوها لم تتغير. ونجد نفس التشابيه الاستعارية التي سبق أن استخدمت في نشيد سابق (٤: ١- ١٣). وهي على تلك الدرجة من الثقة بأن عواطف قلبه لا تزال على حالها تجاهها، ومن هنا تقول:

"٨هُنَّ سِتُّونَ مَلِكَةً وَثَمَانُونَ سُرِّيَّةً،
وَعَذَارَى بِلاَ عَدَدٍ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٩وَاحِدَةٌ هِيَ حَمَامَتِي كَامِلَتِي.
الْوَحِيدَةُ لأُمِّهَا هِيَ.
عَقِيلَةُ وَالِدَتِهَا هِيَ.
رَأَتْهَا الْبَنَاتُ فَطَوَّبْنَهَا.
الْمَلِكَاتُ وَالسَّرَارِيُّ فَمَدَحْنَهَا."

ما عاد العريس هنا يتحدث إلى عروسه بل عن عروسه. إنه لا يحاول أن يطمئن قلبها إلى مشاعره نحوها وانجذابه إليها، بل يمضي أبعد من ذلك، إذ سيعلن أمام الآخرين أنها له. فالعالم كله سيعرف أنه أحبها، وأن لها مكانة مرموقة في قلبه. لعل هناك ملكات ونساء أخريات، إلا أن عروسه لا مثيل لها بالنسبة إليه. لا مجال لمقارنتها مع أحد. وبكشفه عن مكنونات نفسه تجاهها، فإنه يضمن لعروسه أن تحظى بالمديح والإطراء من العالم. وهكذا سيكون الحال مع شعب الله المخلّص المتجدد في المستقبل. هكذا سيؤول إليه حال الكنيسة بعد أن تقوّم اعوجاجها، إذ يقول الرب: "هَئَنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ، وَيَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا أَحْبَبْتُكَ." أوليس الحال هكذا مع الروح المفتداة؟ إن بولس الخائب لم يستعد العلاقة مع الرب يسوع بشكل خفي من خلال تناول عشاء معه، بل كان ذلك علانيةً إذ قام بخدمة الرب وبشكل مشرّف.

بنات أورشليم
(٦: ١٠)

"١٠مَنْ هِيَ الْمُشْرِفَةُ مِثْلَ الصَّبَاحِ،
جَمِيلَةٌ كَالْقَمَرِ طَاهِرَةٌ كَالشَّمْسِ،
مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ؟"

قال العريس أن بنات أورشليم سوف تطوّبْنَ العروس وأن الملكات سوف تمتدحنها. وها هن الآن قد تجمعن للإحتفاء بأمجادها. كان العريس قد استخدم صورة أجمل مدينة على الأرض لكي يصف جمال حبيبته، والآن ها إن بنات أورشليم يستخدمن أعظم العناصر مجداً في السموات ليعبرن عن إطرائهن للعروس المستعادة. إن كل آثار الإخفاق والترنح قد مضت وولت، وها هي تنبري متجددةً كالصباح، جميلة كضياء القمر، ومجيدةً كالشمس.

العريس
(٦: ١١، ١٢)

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"١١نـــزلْتُ إِلَى جَنَّةِ الْجَوْزِ،
لأَنْظُرَ إِلَى خُضَرِ الْوَادِي،
وَلأَنْظُرَ: هَلْ أَقْعَلَ الْكَرْمُ؟
هَلْ نَوَّرَ الرُّمَّانُ؟"

يُختتم النشيد برضى العريس وهو يرى الثمار التي تمخضت عنها روحه. محبوبنا انحدر إلى وادي الموت ليضمن عروسه. نحن أيضاً، مثل العروس في نشيد الأنشاد، كنا، خلال رحلة بريتنا، قد نـــزلنا إلى وادي الإذلال، ولكن المسيح في الختام سوف "يجمع ثمار الوادي". وسيتخذ مكانه في جنته، وسط خاصته، ويجد مذاق الثمر حلواً. لقد مرّ زمانٌ جاء فيه الرب إلى خاصته على الأرض سعياً وراء الثمر دون أن يجد شيئاً. فعندما سيأتي في يوم مجده، هل سيجد ثماراً؟ هل سيقعل الكرمُ وينوّر الرمان؟ سرعان ما نجد الجواب على هذا السؤال:

"١٢فَلَمْ أَشْعُرْ إِلاَّ وَقَدْ جَعَلَتْنِي نَفْسِي بَيْنَ مَرْكَبَاتِ قَوْمٍ شَرِيفٍ."

فشعبه المرحب به في الحال يقدم له كرسي النصر والمجد. ويجلسونه على المركبات. ولعل في مقدورهم آنذاك أن يقولوا له بلسان صاحب المزامير أن: "بِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ". تمرّدت العروس مرةً على العريس، ولكنه الآن يُستقبَلُ بالهتاف والتهليل. ولعله سيعمل على نحو مدهش عجيب يجعل العالم كله يستقبل شعبه بالمديح، ولكنه هو المنتصر الظافر أولاً وأخيراً. إنه من سيرفعه الشعب المؤمن إلى المركبات. والشعب المفتدى المتجدد سيقول: "لقد فعل الرب ذلك". (مز ٢٢: ٣١). والكنيسة الممجدة ستضع تيجانها أمامه وتقول: "إنك مستحق يا رب". إن كل المفتدين، في الأرض وفي السماء، سوف يتجمهرون في الختام ويعلّون التسبيح والمجد للرب. وسيرفع الرب في أزمان مختلفة وبأشكال مختلفة إلى عربات شعبه الذي يرحّب به.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النشيد ٥
(٦: ١٣- ٨: ٤)
شهادة وشركة المحبة

يُختتم النشيد السابق بمشهد العروس المستعادة إلى شركة سعيدة مع العريس في جنة الجوز. في هذا النشيد نجد مشهدين أمامنا. في الأول، تظهر العروس أمام بنات أورشليم بكل الجمال الذي يضفيه عليها الملك (٦: ١٣– ٧: ٥). وفي المشهد الثاني، نجد العريس والعروس في حياة شركة سعيدة غير مقيدة (٧: ٦ — ٨: ٤).

إن العروس، وقد استُعيدت، تصبح شاهداً على مشاعر العريس أمام الآخرين. هذه الشهادة يصونها سلوك في الشركة مع العريس. ومن هنا، فإن ثمار الاسترداد في ذواتنا تُرى بإظهار الجماليات الأخلاقية للمسيح، وهذا يمكن الإبقاء عليه فقط عن طريق السير في حياة شركة مع المسيح. كان هكذا الحال في مسيرة استعادة بطرس. ففي بدايات الإصحاح ٤ من سفر أعمال الرسل نجده في العالم بصورة تجعلهم يدركون أنه "كان مع يسوع"، وفي القسم الأخير من الإصحاح نجده ينكفيء إلى "جماعته" فيعيش في شركة جميلة مع الرب.

بنات أورشليم

"١٣ اِرْجِعِي ارْجِعِي يَا شُولَمِّيثُ.
ارْجِعِي ارْجِعِي فَنَنْظُرَ إِلَيْكِ".

يستهل المشهد ببنات أورشليم تنادين العروس لكي تعود. كنَّ قد سمعنَ لتوهنّ من شفاه العروس ذلك الوصف الأخّاذ للعريس، ما أيقظ في قلوبهنّ رغبة في العريس. من الواضح، إذاً، أن العروس قد تركتهن كي تنضم إلى حبيبها في جنة الخمائل. وها هنَّ الآن يناشدنها أن ترجع. على الأرجح أن يكون مردّ هذا النداء لها هو رغبتهن أن يعرفن أكثر عن العريس. ومن هو أفضل من يشهد للعريس سوى العروس، التي يدركن الآن أن لها علاقة مع الملك. لأول مرة نجد أنهن ينادينها باسم شُولَمِّيث– وهو الاسم المؤنث من سليمان — أي (سليمانة).

العروس

"مَاذَا تَرَوْنَ فِي شُولَمِّيثَ؟"

رداً على نداء بنات أورشليم، تعبر العروس عن استغرابها وتعجبها من مناداتهن لها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بـنات أورشليم
(٦: ١٣- ٧: ٥)

مِثْلَ رَقْصِ صَفَّيْنِ؟"

هذا ما يبدو أنه جواب بنات أورشليم. لعله يمكننا ترجمة النص بشكل آخر: "مثلما كان رقص مَحَنَايِمَ". إن في هذا تلميحاً إلى اليوم الذي ترك فيه يعقوب أرض ارَامِ النَّهْرَيْنِ ليذهب إلى أرض الموعد مع زوجاته وأولاده وخدامه وكل أغراضه. ففي الطريق "لاقَاهُ مَلائِكَةُ اللهِ. وَقَالَ يَعْقُوبُ إِذْ رَآهُمْ: «هَذَا جَيْشُ اللهِ!» فَدَعَا اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ «مَحَنَايِمَ»". (أي جيشين أو معسكرين). هناك التقى الجيش السماوي بالجيش الأرضي، وهنا التقى العريس بالعريس في جنة الملك، وتقول البنات، بلغة مجازية، "لنر أثر هذا اللقاء". كم هو جميل أن يرى الآخرون مفاعيل أن نكون "مع يسوع"! متجاوبةً معه، تقف العروس أمامهن بكل جمالها، وبسرور بالغ تصف بنات أورشليم جمالها ورونقها.

"٧: ١ مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ!
دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ،
صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ.
٢سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ.
بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ.
٣ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْنِ تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ.
٤عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ.
عَيْنَاكِ كَالْبِرَكِ فِي حَشْبُونَ،
عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمَ.
أَنْفُكِ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ.
٥رَأْسُكِ عَلَيْكِ مِثْلُ الْكَرْمَلِ،
وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَانٍ.
مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصَلِ."

من هنا تحتفل بنات أورشليم بجمال العروس. كانت كلماتها في السابق تحمل شهادة ناصعة عن الملك. أما الآن فالعروس نفسها هي شاهد على كل الجماليات التي أضفاها الملك عليها. إنها شاهدٌ على الحياة لا على الشفاه، وعن التصرفات لا على الكلمات. لقد كانت مع المحبوب في جنة خمائل الطيب وبزغت من حضوره بجمال الملك وقد أُضفيَ عليها. لقد تم تقديم الهتاف لها كابنة أمير. إن ختم الملكية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عليها، وغبطة وجلال حضور الملك تحيط بها. هكذا أشرق مرةً وجه موسى بمجد ذاك الذي جاء من حضوره. ورأى العالم في زمانه في رجلٍ من أهل الأرض نتيجة اتصاله مع السماء. ومن جديد، وفي وقت لاحقٍ يرى أليشع إيليا صاعداً إلى السماء، وخلال طريق عودته إلى أريحا، فإن أولاد الأنبياء يرون في الحال أن "قَدِ اسْتَقَرَّتْ رُوحُ إِيلِيَّا عَلَى أَلِيشَعَ". لم يروا الاختطاف، ولكنهم لاحظوا تأثيره على أليشع. فرأوا في رجل على الأرض روح رجلٍ قد مضى إلى السماء. هكذا كان الحال أيضاً مع استفانوس، في يومه وجيله، إذ كان يقدم مثالاً عن بركة إنسان على الأرض من جراء اتصاله بذلك الإنسان في السماء. لقد "شَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ". ليس في العالم رؤيا مجيدة كهذه، ولكنهم رأوا تأثير ذلك في استفانوس. لقد رأوا رجلاً أمكنه أن يصلي لأجل قاتليه، وهكذا يولِّدُ على الأرض نعمةَ ذاك الإنسان الذي كان قد صعد إلى السماء.

لعلنا نتمحّص قلوبنا بهذه الأمثلة عن أناسٍ على الأرض على اتصال مع السماء. خلال رحلة حياتنا، هل يستطيع العالم أن يرى وجوهاً تشرق بفرح حضور الرب على منوال موسى؟ هل تستطيع أن تطرح فينا روح المسيح على مثال أليشع، أو تعطينا مثالاً عن الإنسان السماوي كما مع استفانوس؟

حسنٌ لنا أيضاً أن نعلن رفعة أصلنا من خلال كلامنا وتصرفاتنا، فعندها نُظهر أننا "كهنوت ملوكي" مختارون فعلاً لنعطي مثلاً عن روعة ذاك الذي دعانا من العتمة إلى نوره العجيب. ولكننا للأسف قلما ندرك معنى أن نتريث قليلاً في جنة الرب وأن نستمتع بصحبة الرب. وعندئذ، ومن تلك البقعة المقدسة، نُظهر للآخرين أثر حضوره، مظهرين أحوال السماء ونِعَمَ الرب. هناك في الغالب خشونة في مسلكنا وقسوة في كلامنا وفظاظة في علاقاتنا، وهذه تُظهر أننا قلمنا نكون "مع يسوع". وإن عشنا قليلاً فقط في صحبته فلن نعرف إلا القليل عن "الحق كما هو في المسيح يسوع". ومن هنا فإن حياة يسوع قلّما تتجلى في أجسادنا. بل إننا غالباً ما نُظهر مسلكيات الأرض أكثر من السماويات. وغالباً ما تمتزج أحاديثنا بخفة الدم أو الظرف أو السخرية والتهكم التي يتميز بها هذا العالم أكثر من الحكمة والقداسة التي للسماء.

أما مع العروس، فقد كان الأمر خلاف ذلك. فقد كانت في حضرة الملك. لقد التقت بالعريس ونالت فرح اللقاء به- "مِثْلَ رَقْصِ صَفَّيْنِ". لقد كانت بين يدي "حَائِكٍ حَاذِقٍ" وترتدي النفائس التي حاكتها يداه. جمال الملك متجلٍ فيها. وإن بنات أورشليم تصفن العروس بلغة تشبه تلك التي يستخدمها العريس. فإذ يراها من فوق، يصفها مبتدئاً بعينيها، في حين أن بنات أورشليم يرونها من الأرض، فيتحدثن أولاً عن وقع أقدامها وصولاً إلى وصف شعر رأسها. بالطبيعة "مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ وَضَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تُلَيَّنْ بِالزَّيْتِ". ولكن، إذ يُنظر إلينا على أننا من أصل روحي وسماوي- فإننا نبدو جميلين من أسفل القدم إلى أعلى الرأس.

العريس
(٧: ٦- ٩)

"٦مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ!
٧قَامَتُكِ هَذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ،
وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ.
٨قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا».
وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ،
وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ،
٩وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ...."

يمكن لبنات أورشليم أن يتأملن في العروس لأنها مثار إعجاب. إلا أن الملك، لا يُعجبُ بالعروس فقط بل إنه يتملكها ويجد فيها مصدر مسرة شخصية. وإذ تنظر البنات إليها فإنهن يقلن: "مَا أَجْمَلَكِ!"، والملك يقول: "مَا أَحْلاَكِ!"، ولكنه يضيف قائلاً: "مَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ!". والتشبيهان الاستعاريان المستخدمان يعبران عن فكرتين؛ إذ يرى كل الجمال الذي تتمتع به فإنه يشبّهها بشجرة النخيل المباركة والمهيبة: وإذ يراها عنصراً للسرور يشبهها بـــ "عناقيد الكرم". والملك يخصص لنفسه تلك المتع والمسرات ويستمتع بها في حين أن الآخرين لا يملكون إلا أن يحدقوا إليها ويعجبوا بها. قد يطري الآخرون على جمالها، ولكنه الوحيد الذي يستطيع أن يقول لها: "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا". إنه يجد في عروسه عواطفَ يُشبّهها بعناقيد الكرمة، فذاك الجمال الذي يقتبله ويُسرُّ به يشبه شذى الأُتْرُجّ في نظره، وتلك المسرات هي كمثل أجود الخمر. وهكذا ستكون العروس الأرضية في المستقبل. لعله من الممكن أن يقول الرب لشعبه المفتدى المستعاد: "أُصَيِّرُكُمُ اسْماً وَتَسْبِيحَةً فِي شُعُوبِ الأَرْضِ كُلِّهَا". إلا أنه يمكن القول عن الرب نفسه أنه "يَبْتَهِجُ بِكِ فَرَحاً. يَسْكُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. يَبْتَهِجُ بِكِ بِتَرَنُّمٍ". العالم سيبعجب ويمتدح، أما هو فسيسر بعروسه الأرضية (صفنيا ٣: ١٧- ٢٠). ولكن ليس الحال هكذا مع العروس السماوية. فهي ستتجلى بمجد أمام عالمٍ سيعجب بها، وسيرى المسيح الثمرة التي تمخضت عنها روحه ويرضى. هكذا الحال أيضاً مع النفس المتجددة. قد يرى الآخرون ويعجبون بالنتائج الظاهرة للتجديد، ولكن الرب يجد في الروح المتجددة ما يقدم له مسرةً. باعترافه بخطيئته يقول داود: "رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ". ثم يقول "فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ". ويختم المزمور المعبّر عن توبته بالقول: "حِينَئِذٍ تُسَرُّ". فداود المتجدد يصبح بركةً للآخرين، ومسرةً في عيني الله (مز ٥١: ١٢، ١٣، ١٩).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العروس
(٧: ٩- ٨: ٤)

"٩ لِحَبِيبِي السَّائِغَةُ الْمُرَقْرِقَةُ،
السَّائِحَةُ عَلَى شِفَاهِ النَّائِمِينَ.
١٠أَنَا لِحَبِيبِي وَإِلَيَّ اشْتِيَاقُهُ".

إن العروس، وقد سمعت العريس يعبر عن مدى سروره بها، تحجم عن الكلام. وإذ يشبه العريس الفرح الذي وجده فيها بأجود الخمر، فإنها تضيف قائلةً في الحال: "لِحَبِيبِي السَّائِغَةُ الْمُرَقْرِقَةُ". في أوقات مضت، ضلت عواطف العروس سواء السبيل، أما الآن فإن العروس، التي استعادها حبيبها، هي له بالكلّية. عندما رقدت في سريرها وغلبها النعاس والكسل، لم تستطع أن تتجاوب مع نداء حبيبها. إلا أن كل الجمال الذي أضفاه حبيبها عليها قد أيقظ مشاعرها وأدخل السرور إلى قلبها. إن أجود الخمر جعل شفاه العروس التي كانت قبلاً نائمة تتكلم. والكلمات التي تنطق بها الآن تعبر عن خبرة روحها العميقة. فخلال اعوجاجاتها ومعاصيها نضجت في النعمة. وعبر هذه الخبرات صار قلبها قادراً على التعبير عن ذاته بحماسة متزايدة. عندما استيقظت رغباتها نحو الحبيب لإدراكها أنها منية قلبه، هتفت ممتنةً: "حبيبي لي، وأنا لحبيبي". ومع ازدياد معرفتها بما يجول في ذهنه تجاهها، تزداد إدراكاً لأهميتها بالنسبة له. ومن هذا الشعور الذي يملأ قلبها، تجد نفسها لا تقوى على القول: "أنا لحبيبي، وحبيبي هو لي"، إلا أنها، في نهاية الأمر، وعندما تنتعش عواطفها وتجد أن حبه لم يتغير وتسمع منه تعابير سروره بها بدلاً من توبيخه لها، تدرك أنه لها بالتمام وأنه لا يزال يحبها، وتهتف قائلة: "أَنَا لِحَبِيبِي وَإِلَيَّ اشْتِيَاقُهُ".

"١١تَعَالَ يَا حَبِيبِي لِنَخْرُجْ إِلَى الْحَقْلِ،
وَلْنَبِتْ فِي الْقُرَى.
١٢لِنُبَكِّرَنَّ إِلَى الْكُرُومِ،
لِنَنْظُرَ هَلْ أَزْهَرَ الْكَرْمُ؟
هَلْ تَفَتَّحَ الْقُعَالُ؟
هَلْ نَوَّرَ الرُّمَّانُ؟
هُنَالِكَ أُعْطِيكَ حُبِّي.
١٣اَللُّفَّاحُ يَفُوحُ رَائِحَةً،
وَعِنْدَ أَبْوَابِنَا كُلُّ النَّفَائِسِ مِنْ جَدِيدَةٍ وَقَدِيمَةٍ،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذَخَرْتُهَا لَكَ يَا حَبِيبِي."

بنتيجة كل تعامل الملك مع عروسه صار لها نفس تفكيره نحوها، ونفس رغباتها ونفس عواطفه. في مناسبات سابقة كان قد قال لها: "تعالي"، وكانت بطيئة الاستجابة، أما الآن فإنها تستعير كلماته وتقول: "تَعَالَ يَا حَبِيبِي". فبكل سرور ستكون معه لتستمتع برفقته في الحب. تقول له: "تَعَالَ"، "لِنَخْرُجْ"، "لْنَبِتْ"، "لِنُبَكِّرَنَّ"، " لِنَنْظُر". فسوف لن تغادره بعد اليوم أبداً. فحيثما ذهبا، وأينما سكنا، ومهما قالا، ومهما رأيا، فسيكونان معاً في ذلك. وتقول: "هُنَالِكَ أُعْطِيكَ حُبِّي". ربما اتجهت عواطفها في الماضي إلى وجهة بعيدة عنه، إلا انها صارت الآن للملك بالكلية. ومن هنا أمكن للرسول بولس أن يقول فيما بعد: "مَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ إِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي".

"٨: ١لَيْتَكَ كَأَخٍ لِي،
الرَّاضِعِ ثَدْيَيْ أُمِّي،
فَأَجِدَكَ فِي الْخَارِجِ،
وَأُقَبِّلَكَ وَلاَ يُخْزُونَنِي.
٢وَأَقُودُكَ وَأَدْخُلُ بِكَ بَيْتَ أُمِّي،
وَهِيَ تُعَلِّمُنِي،
فَأَسْقِيكَ مِنَ الْخَمْرِ الْمَمْزُوجَةِ،
مِنْ سُلاَفِ رُمَّانِي.
٣شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي،
وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي.

ليست العروس راضية أو مكتفية بأن يعبر لها العريس عن عواطفه نحوها سراً. إنها ترغب أن يعرف الجميع بالحب الذي يربطها بالملك. "لَيْتَكَ كَأَخٍ لِي"، تقول له، وعندها سيكون في مقدورها أن تُظهر له الحب أمام الجميع دون خجل أو وجل. "فأَجِدَكَ فِي الْخَارِجِ، وَأُقَبِّلَكَ وَلاَ يُخْزُونَنِي". أن نعبّر عن محبتنا للمسيح في عالم نبذه سيجلب علينا بغضاء العالم. ولكن سيأتي وقتٌ نستطيع فيه أن نشهد، بدون أي عائق، على محبتنا للمسيح دون أن نلاقي احتقاراً أو ازدراء.

"٤أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ...
أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ."

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن هذا النشيد ينتهي بتوصية لبنات أورشليم لئلا يقلقوا علاقة الحب الحميمة السعيدة التي تنعم بها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النشيد ٦
(الإصحاح ٨: ٥- ١٤)

انتصار المحبة

بنات أورشليم
(٨: ٥)

"٨: ٥ مَنْ هَذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ،
مُسْتَنِدَةً عَلَى حَبِيبِهَا؟"

انتهى النشيد السابق برغبة العروس في أن تعبر عن حبها للعريس أمام كل العالم دون أن ينتقد الآخرون سلوكها أو يزدروا بها. في هذا النشيد الآن تتحقق رغبتها. فالعروس تُرى خارجةً إلى البرية وهي تتكيء على ذراع حبيبها، وبنات أورشليم تتساءلن : "من هذه الفتاة؟" في النشيد الرابع رأينا العروس تطلب العريس وتجده، وفي النشيد الخامس أقامت علاقة سرية جميلة معه، والآن، أخيراً، تظهر أمام العالم مصحوبة به، ولكن في اتكال عليه. لقد صارت تعرجات البرية خلف ظهرهما، والمجد يشرق أمامهما. وهكذا سيكون الحال مع شعب إسرائيل، العروس الأرضية. فالرب سوف يتملقها ويفتنها ويخرج بها إلى البرية. وهناك سيخاطب قلبها، وسيقول الرب، عندما يستعيدها: "أَحْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ" (هوشع ٢: ١٤- ٢٣).

وعلى منوال ذلك، فإن الكنيسة، مع انقضاء رحلة بريتها وحلول عرس الحمل، ستظهر مع المسيح في المجد كعروسٍ قد تزينت لأجل خطيبها، كما يسرنا أن نرنم قائلين:

"يا له من يوم موعود وعجيب!
فالعريس والعروس،
سيظهران بالمجد إلى الأبد،
وسيلقى الحب رضاه"

هذا الموقف عند الرب نجده أيضاً في تعامله مع القديسين المؤمنين المتجددين. إننا نعرج ونتعثر، ولكن النعمة تقيمنا من سقطاتنا مستندين إلى المسيح، تماماً كما تُرى العروس "مستندة على حبيبها". إننا نخفق، مثل بطرس، من جراء اتكالنا على محبتنا للمسيح، إلا أنه ينهضنا بنعمته الحانية ويعلمنا أن نتكل على محبته العظيمة لنا. كانت هذه خبرةً جميلةً عاشها يوحنا، الذي نقرأ عنه في (يو ١٣: ٢٣) بأنه "كَانَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مُتَّكِئاً فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ". كم نحن بطيئي الفهم عن إدراك هذا الدرس في الاتكال على المسيح. الكبرياء تجعلنا نرفض الإقرار بتفاهتنا وبملئه، وبضعفنا وبقوته، ولولا ذلك لأمكننا أن نعول عليه في كل شيء. ليس من السهل أن نتعلم أننا كخطاة عاجزون عن أن نقدم للمسيح أي شيء، بل علينا أن نستمد منه كل شيء. فهذا ما تقوله لنا كلمات الرب ذاته أن "بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً". إن "الاتكالية" هي أن يتعلق الضعيف بالقوي. و"الاتكاء على صدر يسوع" يعني الاتكال على محبة ذاك الذي فيه كل الملء.

العريس
(٥)

"٥ تَحْتَ شَجَرَةِ التُّفَّاحِ،
شَوَّقْتُكَ هُنَاكَ خَطَبَتْ لَكَ أُمُّكَ،
هُنَاكَ خَطَبَتْ لَكَ وَالِدَتُكَ."

وإذ أتت إلى اتكال سعيد على حب العريس، تتذكر العروس أن كل البركات التي تتمتع بها، من اللحظة التي أيقظها بها، إنما هي بفضل المحبوب. علينا ألا ننسى بأننا مدينون للنعمة على كل ما لدينا وكل ما نحن عليه. سواء كان المؤمن من القديسين الفاترين المتجددين أو من من بني إسرائيل المتجددين، فإنه يتجلى بالمجد السماوي بعد تعثر وتبعثر، وذلك كله بفضل نعمة الرب الجليلة المطلقة التي توقظنا وتخرجنا من حالتنا المتردية وتقيم علاقة بيننا وبينه.

العروس
(٨: ٦-٨)

"٦اجْعَلْنِي كَخَاتَمٍ عَلَى قَلْبِكَ،
كَخَاتَمٍ عَلَى سَاعِدِكَ".

وإذ تستند على حبيبها، من جراء إدراكها للنعمة التي يعود لها فضل وجودها بالأصل، وأن راحتها لن تكون إلا في المحبوب، فإنها تهتف قائلة: "اجْعَلْنِي كَخَاتَمٍ عَلَى قَلْبِكَ كَخَاتَمٍ عَلَى سَاعِدِكَ". إنها لا تشكُّ في حبه لها، ولكنها تدرك أن كل بركتها تستند إلى حبه، وليس حبها. ولذلك فإنها تبحث دائماً وإلى الأبد عن مساحة في عواطفه، لكي تبقى ذراعه القوية ساندةً ومؤيدةً لها. وبالفعل إن له مكانة في قلبها، ولكن ثقتها واطمئنانها يأتي من إحساسها بأن لها مكانة في قلبه. ومن هنا فإن الروح المتجددة تُسر بأن تقول للمسيح: "إن ثقتي هو أن اسمي على قلبه- فلي مكانة في عواطف قلبه؛ واسمي على ذراعه-

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فأحتمي وأتأيد بساعده القوية". يمكننا أن نثق بمحبة قلبه وقوة ذراعه، رغم أننا لا نستطيع أن نثق بقلبنا وذراعنا أنفسنا. لا يمكننا أن نستنفد محبة قلبه، ولا نستطيع أن نحد من قوة ذراعه.

"٦ لأَنَّ الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ.
الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَاوِيَةِ".

إن محبة العريس هي أساس ثقة العروس، كما أن محبة المسيح هي أساس ثقتنا. فهذه محبةٌ قد بُرهنت لنا، ووجدنا أنها قوية كالموت. الموت يحصد البشر بقبضته القوية. الموت يسخر من كل قوة الإنسان الضئيلة الهزيلة. من السقوط وصاعداً دخل الناس مع الموت في صراع قتَّالٍ، إلا أن الغلبة كانت للموت على الدوام، إلى أن حدث في النهاية أن الحب- الحب الإلهي- قد دخل في صراع مع الموت. فعلى الصليب تصارع الحب مع الموت وانتصر الحب. لم يستطع الموت أن يمنع محبة المسيح؛ لم يستطع الموت أن يهزم محبة المسيح. لقد نال الموتُ من حياته ولكنه لم يمس محبته. لقد ساد الحب وانتصر، إذ أن الحب تنازل للموت لكيما ينتصر الحب على الموت. "لقد لسع الموت نفسه حتى الموت عندما أماته".

الغيرة قاسية كالقبر. كم هو عديم الشفقة ذلك القبر. إنه يبتلع الصبا، والمحبوب، والأجمل، والأكثر إشراقاً. لا يعرف القبر الشفقة، ولذلك فإن الغيرة سوف تواجه بقسوة متناهية كل ما قد يحول بين العريس وعروسه. لا بد أن يكون المسيح الأسمى والأعلى منـــزلةً: "مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي". ولذلك يمكن للرب أن يقول: "«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً". كلمة "يبغض" تحمل معنى سلبياً يوحي بالقسوة، إلا أنها قسوة الحب الغيور الذي لا يطيق وجود أي منافس. عادةً ما يتكلم الناس في العالم عن الغيرة بمعنى الشر. ولكن الكتاب المقدس قلما يربط الغيرة بهذا المعنى. بل إنه حتى يتحدث عن "غيرة لله". ومن هنا نفهم ما يقوله بولس الرسول للمؤمنين: "إِنِّي أَغَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ اللهِ، لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ" (٢ كور ١١: ٢). إن محبته للمسيح وللقديسين جعلته يغار على ألا يعيق أي أحد أو أي شيء علاقتهم مع المسيح. إنه لا يشفق أبداً على أي شخص يمكن، بتعاليمه العقائدية المغلوطة، أن يضل القديسين عن المسيح. فإِنْ بَشَّر أي رسول أو مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بأي إنجيل مخالف، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا». هكذا كانت قسوة الحب الغيور.

إن الحب القوي كالموت، والغيرة القاسية كالقبر يتواجدان معاً. أحدهما هو نتيجة الآخر. إن الحب والغيرة توجدان بنسبة ما معينة عند كل البشر. ولكن الحب القوي كقوة الموت هو وحده الذي يولّد الغيرة القاسية كالموت.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"٦ الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَاوِيَةِ.
لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارٍ لَظَى الرَّبِّ".

ثمة حرارة ونار ملتهبة في الحب. ألا نرى لهيباً في نار محبة الرب المتقدة، تلك التي لم ترضَ بأي إهانة توجه إلى الله الآب، في حادثة طرده للصرّافين من الهيكل، تلك الحادثة التي جعلت التلاميذ يتذكرون ما كتب عنه: "غيرةُ بيتِكَ أكلتْني". ونرى أيضاً لهيب المحبة المتقدة قد حمل بولس على عيش تلك الحياة الرائعة، واضعاً نفسه في خدمة القديسين، تاركاً المسكن والراحة، مواجهاً الجوع والعطش، البرد والعري، والأخطار، والاضطهادات والموت، مدفوعاً إلى كل ذلك بالمحبة نحو المسيح. ونجد هذا اللهيب المضطرم أيضاً في السلسلة الطويلة للشهداء والمسيحيين المضطهدين. فشعلة المحبة التي كانت تتوهج في قلوبهم غلبت القضبان الحديدية المحماة التي كانت تحرق أجسادهم خلال التعذيبات.

"٧مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ الْمَحَبَّةَ،
وَالسُّيُولُ لاَ تَغْمُرُهَا."

ما من شيء يمكن أن يطفيء لهيب المحبة الإلهية. لقد واجه الرب يسوع "مياهاً كثيرةً"، ولكنها لم تستطع أن تخمد محبته. لقد اعترضته "السيول" ولكنها لم تستطع أن تغمر محبته. وعند الصليب "رفعت السيول أصواتها"، ولكنها اكتشفت أن المحبة الإلهية أعظم وأقدر من ضجيج المياه الكثيرة. هناك أحاطت به آلام الموت، وسيول الفُجّار. ولكنها لم تستطع أن تجعله يتراجع عن محبته (مز ١٨: ٤). وأمكنه أن يقول: "إِنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي" (مز ٦٩: ١)، ولكنها لم تستطع أن تغرق المحبة التي كان يمتلئ بها قلبه. لقد جازت عليه كل تيارات وأمواج الله (يونان ٢: ٣)، ولكن المحبة لم تفارقه. فـــ "التيارات الكثيرة" لم تَنَلْ من محبته للعروس، و لم تستطع السيول غمرها. فمحبته انتصرت، ومحبته تثبت إلى المنتهى. ومن هنا يمكننا أن ننشد هاتفين لذاك "الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ،..... لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ".

"٧ إِنْ أَعْطَى الإِنْسَانُ كُلَّ ثَرْوَةِ بَيْتِهِ بَدَلَ الْمَحَبَّةِ
تُحْتَقَرُ احْتِقَاراً".

لا يمكن للحب أن يُشرى. صحيحٌ أن المسيح قد أعطى "كُلَّ ثَرْوَةِ بَيْتِهِ"، فتخلى عن ممالك وعروش وتيجان، إلا أنه أعطى أكثر من ذلك، فلقد "أعطى ذاته". وفي بذله لنفسه برهن محبته، لأنه "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ". واستجابةً لهذا الحب فإنه يبحث عن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الحب. وما من شيء سوى الحب من أعماقنا يشبع محبة قلبه نحونا. قد نقدم أعمال أيدينا، وفضتنا، وذهبنا، وأعمال المحبة والإحسان، وأجسادنا لتُحرقَ، ولكن إن لم تكن هناك محبة فهذا كله سيكون بلا جدوى.

إن محبة المسيح تولّد محبة. نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً.

هكذا هي المحبة التي بها نُحب.

محبةٌ أعطتنا مكانة في قلب المسيح.

محبةٌ وضعتنا في ظل حماية ذراعه القوية.

محبةٌ قويةٌ كالموت.

محبة غيورة تمتزج بغيرة إلهية.

محبة تشتعل بلهيب متقد.

محبةٌ لا تنطفئ أبداً،

وهي محبةٌ لا يمكن أن تُشرى.

"٨لَنَا أُخْتٌ صَغِيرَةٌ
لَيْسَ لَهَا ثَدْيَان.
فَمَاذَا نَصْنَعُ لِأُخْتِنَا
فِي يَوْمٍ تُخْطَبُ؟"

إن العروس، وقد تجددت وسُرّتْ بحب العريس، تجد نفسها قادرة على التفكير بحرية في بركة الآخرين. وإن كان التفسير الدقيق لنشيد الأنشاد يقدم العروس كممثلة عن شعب الله على الأرض- ألا وهم شعب إسرائيل- وقد تجددوا ونالوا بركة المسيح، فإن "الأخت الصغرى" ترمز، على الأرجح، إلى أفرايمَ، أو الأسباط العشرة. فنعرف أنهم سينالون البركة، ولكن ليس من خلال خبراتهم القديمة في العلاقة مع المسيح، بل بفضل محبتهم للمسيح وممارساتهم وخبراتهم التي يطورونها أو يمرون خلالها. ولكن ستسنح فرصة لأفرايم- يوم تُخطب. وما الذي يمكن القيام به لأجلها يومذاك؟

العريس
(٩)

"٩إِنْ تَكُنْ سُوراً،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فَنَبْنِي عَلَيْهَا بُرْجَ فِضَّةٍ.
وَإِنْ تَكُنْ بَاباً،
فَنَحْصُرُهَا بِأَلْوَاحِ أَرْزٍ."

هنا نجد الجواب. عندما يقيم شعب إسرائيل علاقة راسخة كالسور مع الله من جديد، وذلك بفضل نعمة الله المجددة الافتدائية: "نَبْنِي عَلَيْهَا بُرْجَ فِضَّةٍ". وعندما يصبح باباً- بأن يفتح قلبه للمسيح- فسينعم بحمايته وعنايته: "فَنَحْصُرُهَا بِأَلْوَاحِ أَرْزٍ".

في حين أن التفسير الدقيق يشير إلى أفرايم، أفلا نستطيع تطبيق هذا المبدأ على الجماعة الأكبر التي تعترف حقاً بالمسيح وعواطف قلبها تتجه نحوه؟ كم هم كثيرون أولئك الذين يشبهون هذه "الأخت الصغرى" في نشيد الأنشاد. قد تكون حياتهم صحيحة في الظاهر. وما من انحراف عن الطريق المستقيم قد أصابهم، ولم يضلوا سواء السبيل، ولم يتعرضوا للضرب والتجريح على يد الْحَرَس الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ، ولم يرفع حَفَظَةُ الأَسْوَارِ إِزَارهم عنهم. ولعلهم لم ينـــزلوا إلى وادي الظلمة ليعرفوا قلوبهم، ولعلهم لم يصعدوا إلى جبل حرمون ليعرفوا مدى المحبة في قلب المسيح. لم تسنح لهم فرصة تطوير خبرة علاقة عميقة مع المسيح. ما الذي يمكن عمله لهم؟ ما يحتاجون إليه هو ترسيخ علاقتهم بالمسيح- أن يصبحوا سوراً. وأن يفتحوا قلوبهم للمسيح- ويصبحوا باباً. وعندها يصبحون فعلاً شهوداً لنعمته التجديدية الافتدائية أمام الآخرين، وتصبح قلوبهم حصناً مسيجاً مكرساً للمسيح.

العروس
(٨: ١٠- ١٢)

"١٠أَنَا سُورٌ وَثَدْيَايَ كَبُرْجَيْنِ.
حِينَئِذٍ كُنْتُ فِي عَيْنَيْهِ كَوَاجِدَةِ سَلاَمَةً."

يمكن للعروس أن تقول بالنعمة: "أنا سورٌ". وباستنادها على علاقتها الراسخة مع العريس، فإن مشاعرها هي سر قوتها ومعيار مصداقية شهادتها أمام الآخرين. إن البرج هو مكان الأمن والأمان وأيضاً نقطة علام للآخرين. إن المؤمن الذي تتجه عواطفه إلى المسيح هو الذي وجد فعلاً السلام في عيني المسيح. إن مريم، التي دفعتها عواطفها للارتماء على أقدام المسيح، كانت، في نظره، مثالاً عن الإنسان الذي وجد السلام، وهذا السلام لن يتزعزع. لقد "اخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنـــزعَ مِنْهَا»".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"١١كَانَ لِسُلَيْمَانَ كَرْمٌ فِي بَعْلَ هَامُونَ.
دَفَعَ الْكَرْمَ إِلَى نَوَاطِيرَ،
كُلُّ وَاحِدٍ يُؤَدِّي عَنْ ثَمَرِهِ أَلْفاً مِنَ الْفِضَّةِ".

إن "بَعْلَ هَامُونَ" تعني "سيد الجماهير". فالمقطع يصف الزمن الذي سيملك فيه المسيح- سليمان الحقيقي- على كل أمم الأرض. وتصبح الأرض كلها كرماً مثمراً. سيكون هناك ملوك على الأرض- وهم نواطير الكرم- وسيستمتعون بثمار الأرض، إلا أنهم سيكونون خاضعين للمسيح. سيدفعون له جزيةً. سيقدمون له ألفاً من الفضة.

"١٢كَرْمِي الَّذِي لِي هُوَ أَمَامِي.
الأَلْفُ لَكَ يَا سُلَيْمَانُ،
وَمِئَتَانِ لِنَوَاطِيرِ الثَّمَرِ."

إلا أن العروس لديها كرمها الخاص. إن شعب إسرائيل عندما يتجدد سيحظى بمكانه الخاص، وسيكون خاضعاً للمسيح، مثله في ذلك مثل العروس. ولكن عندما تقدم العروس كل ما لها للعريس، فإن البركة ستعم الآخرين. وإن كان سليمان سيأخذ ألف قطعة من الفضة، فإن الآخرين سينالون مئتين. إن قَارُورَةَ الطِيبِ كَثِيرِ الثَّمَنِ سَكَبَتْهُ مريم عَلَى رَأْسِ المسيح، إلا أن الآخرين استفادوا من ذلك إذ "امتلأ البيت برائحة عطر هذا الطيب".

وهكذا إذاً، في نهاية الأمر، إن النفس التي اختبرت ظلمات الأودية، وارتفاعات الجبال، والضلال في المدينة، ومسرات الجنة، تأتي إلى الاستقرار والراحة في محبة المسيح الأبدية (الآية ٥)، بعرضها وطولها وعمقها وارتفاعها (٦، ٧)، وإلى التفكير في الآخرين (٨، ٩). فيعترف الجميع بأنه سيأتي يومٌ يملك فيه المسيح على الكون بأسره (١٠، ١١). وخلال هذا الزمان يمتلك كل شيء (١٢). هكذا هو انتصار المحبة في المسيح.

العريس
(٨: ١٣)

"١٣أَيَّتُهَا الْجَالِسَةُ فِي الْجَنَّاتِ،
الأَصْحَابُ يَسْمَعُونَ صَوْتَكِ،
فَأَسْمِعِينِي."

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يُسمع صوت العريس هنا لآخر مرة. إنه يُسر بامتلاك ما أنجزه الحب. لقد انتهى تيهان وضلال العروس: فقد جاء بها الحب للسكنى في الجنة. يا لسعادتنا عندما تجتذبنا محبة المسيح بقوة إذ نجد نصيبنا هناك خارج هذا العالم البائس في صحبةٍ مع شعبه- في جنات الرب. وفقط من موقعنا ضمن الشركة معه يمكننا أن نكون شهوداً حقيقيين للآخرين. إلا أن الرب لا يرضيه أن يسمع الآخرون صوت شهادتنا من خلال طريقة شهادتنا، بل إنه يُسر بسماع صوت شهادتنا عن طريق العبادة، واستجابتنا لصوته. وسرعان ما نجد العروس تستجيب:

العروس
(٨: ١٤)

"١٤اُهْرُبْ يَا حَبِيبِي،
وَكُنْ كَالظَّبْيِ أَوْ كَغُفْرِ الأَيَائِلِ،
عَلَى جِبَالِ الأَطْيَابِ."

إن جواب العروس يعبّر عن توق قلبها للعريس. وتُشبع رغبة قلبها، ويسمع صوتها وهي تقول: "اُهْرُبْ يَا حَبِيبِي"، هذه الكلمات التي تقع على مسمعه بعذوبة وتبهج قلبه، إذ تكشف له أن محبته قد فعلت فعلها في قلب العروس. فالحب يملأ قلبها وسوف لن يجد رضاه بعيداً عنه، بل بعودته إليها. وهكذا ففي يومنا يأخذنا الحب معه، ويصبر علينا في اعوجاجاتنا، ويسترجع أرواحنا، وينعش عواطفنا المتقاعسة، ويأتي بنا إلى الشركة مع المسيح في جنة الرب، وهناك يكشف كل كنوز محبته، ويخبرنا بأن محبوبنا آتٍ لأجلنا. ويكون الحب قد أنجز عمله في قلوبنا، عندما يسمع الرب شعبه، واستجابة لقوله أن: "هَا أَنَا آتِي سَرِيعاً"، حين يردد له الهتاف أن "آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ".